

تاج السقيا
ديوان شعر

دار السرد للطباعة والنشر والتوزيع
العراق - بغداد - شارع المتنبي



٨١١ / ٩٠٥٦٣

م ٥٦٩

القاضي ، رافد حميد فرج

تاج الشرق / رافد حميد فرج القاضي

ط ١ :- بغداد : دار السرد ، ٢٠٢٦ .

٢٤٧ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم .

١- الشعر العربي - العراق - أ- العنوان .

رقم الإيداع

٢٠٢٦ / ٣٥٢٣

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

ISBN : 978-9922-5580-6-6

هاتف: ٠٧٨٧١٩٧٨٥٢٠ / ٠٧٧٣٥٩٢٩٤٨٤

بريد إلكتروني: alrtyu44@gmail.com

رياض داخل: Facebook

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي مؤسسة أو جهة، إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله، بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من المؤلف.

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر.

تاليف الشريف

محمد بن عبد الله
١٤٤٧

سيرة ملك تنبض شعرا

جلالة الملك

لهذه السيرة الملك المعظم

ملك ماليزيا

ديوان شعري

رافد حميد فرج القاضي

نبضُ الكلماتِ

إذا أغلقتَ هذا الكتابَ، فلا تغلق بصيرتك عن الضوء الذي يسكنُ
خلفَ الكلماتِ، فالعدلُ فنٌّ، والفنُّ ثورةٌ، والمملكُ الحقيقيُّ هو مَنْ يحوّلُ
شعبه إلى قصيدةٍ يقرأها العالمُ بإعجابٍ ، هنا... يتصافحُ نهرًا دجلةَ
والفراتِ مع أرخبيلِ الملايو، نضعُ نقطةَ الختام... لنبدأ سطرَ الوفاء... .

الإهداء

إلى الذي لا يجلسُ على العرشِ... بل يسكنُ في فكرة العدل...
إلى حضرة صاحبِ الجلالة الملكِ إبراهيم إسكندر المعظم، ملكِ ماليزيا
الموقر لا أهدي إليك حبراً، فالبحارُ أولى بمدادها، ولا أهدي إليك ورقاً
فالغاباتُ أحقُّ بأشجارها، بل أهدي إليك المسافة التي قطعها الوفاء من
بغدادَ إلى جوهور، وأهدي إليك الدهشة التي ارتسمت على وجه
صديقي أحمد دحّام وهو يرى فيك وطنًا لا يغلق أبوابه...
أهدي إليك ديوانَ "تاج الشرق" نبضًا عراقيًا... عانق فيك روح الشرق
التي لا تنكسر، من قلبِ الرافدينِ إليك وحدك... يرتفع هذا
التاج، نحنُ لا نورّجُ للملوك... نحنُ نورّجُ للنور الذي يتركه الملوكُ
خلفهم... يا صاحبَ التاج، لم نأتِ لنمدح السلطة، بل جئنا لنكتب
عن الإنسان الذي فيك، فالتيجانُ تذوي والعدلُ يبقى هو الملك...

جِسْرُ الْحِكَايَاتِ

مِنْ بِلَادِ الرَّافِدِينَ

إِلَى شُطَّانِ مَالِيزِيَا

لم يكن بيني وبينَ كوالالمبور أو جوهورَ سابقُ معرفةٍ، ولم تكنِ الخرائطُ
تدُلُّني على أكثرَ من حدودِ صماءٍ، وجغرافيا مرسومةٍ ببرودِ الخبرِ على
الورقِ حيثُ كانتُ ماليزيا في مخيلتي مجردَ دولةٍ بعيدةٍ تغفو تحتَ شمسِ
الاستواءِ ويفصلُني عنها زئيرُ المحيطاتِ وصمتُ المسافاتِ، لكنَّ الجغرافيا
رغمَ قسوتها، تنهارُ أمامَ عاطفةِ الإنسانِ، والحدودُ رغمَ صرامتها، تتلاشى
حينَ يقرِّرُ الوفاءُ أنْ يمدَّ جسوره، وتبدأُ الحكايةُ عندما سافرَ صديقي
أحمدُ دحَّامٌ معَ عائلتهِ ليحطُّوا الرحالَ في كنفِ ماليزيا، إذ لم يسافرَ
وحدهُ، بل أخذَ معه جزءًا من ذاكرةِ أزقةِ ونخيلِ العراقِ، ومنذُ ذلكَ اليومِ

تحوّلت مكالماته من أحاديث الشوق المعتادة التي تقتات على الحنين إلى
نوافذ كونية تطلّ على حكاية ملكٍ وعظمة دولةٍ وعدالة إنسانٍ، وكانت
كلماته تأتيني عبر الأثير كأثما نبضاتٍ من عالمٍ آخر تنقل لي أنّ الشرق
ليس مجرد جهةٍ تشرق منها الشمس، بل هو روحٌ تشرق بالعدل
والكرامة، كان يقول لي بذهول المحبّ عن ملكٍ لا يرتضي الجلوس خلف
الجدران الصمّاء، ولا يقبل أن تسجنه أسوار القصور العالية عن أنين
شعبه، وكان يصف لي مشهداً سرياليّاً لم أعتد عليه في كتب التاريخ
ملكٌ يزرع الطمأنينة في القلوب، رأيتُه من خلال كلماته يقود قاطرة
الوطن بقلبٍ أبٍ يحنو على الضعيف، وبحكمةٍ خبيرٍ يزن الأمور بميزانٍ
الذهب، وفي كلّ مكالمته، كان يسكب في أذني تفاصيل دقيقة من حياة
الملك إبراهيم إسكندر حتى استحال الغريب في وجداني قريباً وشعرت أنّ
عدالة هذا الملك قد عبرت المحيطات وتخطت السدود لتقرع بابي في

العراق، وتجلسَ معي على منصةِ الشعرِ مذكرةً إياي بأنَّ السلطةَ الحقيقيةَ هي التي تستمدُّ هيبتها من حبِّ البسطاءِ لا من سطوةِ السلاحِ أو بريقِ التيجانِ ، كما أنَّي طالما آمنتُ كشاعرٍ ورسامٍ وقاضٍ أفنى عمره بين الحرفِ والفرشاةِ وأضابيرِ القضايا ومنصاتِ الحكم، أنَّ العدلَ هو ميزانُ الأرضِ، وأنَّ القانونَ هو الحارسُ الأمينُ لكرامةِ البشرِ، لكنَّ صديقي حدَّثني عن عدلٍ من نوعٍ آخر؛ عدلٍ لا يكتفي بالنصوصِ الجامدة، بل يمتزجُ بالتواضعِ والرحمةِ، أخبرني كيف أنَّ الملكَ إبراهيمَ إسكندرَ يرفضُ الرسمياتِ الخانقةَ عندما يتعلقُ الأمرُ بقاءِ شعبه...؟ وكيف أنَّه جعلَ من ولايةِ جوهورَ منارةً يُشارُ إليها بالبنانِ ومختبراً حياً للنهضةِ والتطورِ قبلَ أنْ يجلسَ على عرشِ ماليزيا قاطبةً ليكونَ ظلاً للجميع...؟

إنَّ هذا المزيجَ العجيبَ بينَ صرامةِ القائدِ وعفويةِ الإنسانِ هو ما أشعلَ

في داخلي فتيلَ الكتابة؛ أن ترى ملكًا يدرك أن البروتوكول الحقيقي هو
إرضاء ضمير الرعية، من هنا، ومن بين ركام الوجع العراقي وآمال النهضة
المرجوة وُلدت لي الفكرة: أن أصنع له ديوانًا يخلّد هذه المسيرة التاريخية
ولم يكن الدافع رغبةً في المدح، فالمدائح تذوي، بل كان الدافع أن الجمال
يُعدي والعدل يُلهم والوفاء لكلمات صديقي أحمد كان دينًا في عنقي
وقرّرت أن أطوّع حرفي وأُسجّر ملكتي الشعرية التي صقلتها دروب الأدب
لأرسم بالكلمات ملامح هذا الملك الذي لم أره عيانًا ولم أضافحه يدًا بيد
لكنني رأيته بعين صديقي الذي لا يكذب، وبقلب الشاعر الذي يُبصر
ما وراء الصور، وبعقل القاضي الذي يحلّل الوقائع ليصل إلى الحقيقة
اليقينية: أن جلالة الملك إبراهيم إسكندر هو ملك الاستثناء في زمن
التقليد، أكتب عنه اليوم، مستحضرًا تلك السيرة التي امتزجت فيها
أصالة الشرق برقي الغرب أكتب عن طفولته التي لم تكن ترفًا بل إعدادًا

لمهامّ جسامٍ وعن عنفوانه العسكريّ الذي علّم أنّ القيادة ليست إصدارَ
أوامرٍ بل انضباطاً ذاتيّاً وتضحيةً من أجل المجموع، وأكتبُ عن تربعه على
العرش الذي لم يزدّه إلا تواضعاً وقرباً من التراب، كأنّه يطبّق الحكمة
الأزليّة: إنّ القمّة الحقيقيّة هي في النزول إلى الناس ليس في التعالي عليهم
لقد علّمه الميدان أنّ الثبات في وجه العاصفة شيمَةُ الفرسان، وعلمّه
القانون أنّ الإنصافَ روحُ الملك، لذا جاءت قصائدي لتواكب هذا
الإيقاعَ الحيويّ في حياته؛ بين هدير الدراجة وصمت التفكير، بين حزم
القائد وعفو الأب، هذا الديوان الذي أسميته "تاج الشرق"، ليس مجرد
حبرٍ يسيلُ على ورقٍ صامتٍ، بل هو معراجٌ وجدائيٌّ يربطُ نخيلَ العراقِ
الباسقَ بشجرِ المانغروفِ الصامدِ في ماليزيا، إنّه لؤلؤُ الحروفِ من شاعرٍ
عراقيٍّ يعرفُ مرارةَ غيابِ الحقِّ وقيمةَ حضوره، إلى ملكِ ماليزيا الذي
يمارسُ الحقَّ كنهجِ حياةٍ يوميٍّ لا شعارٍ يُرفعُ في المناسبات، إنّها محاولةٌ فنيّةٌ

لكسرِ الحواجزِ بينَ الثقافاتِ وللقولِ إنّ القيمَ الإنسانيةَ العظيمةَ لعةٌ
عالميةٌ لا تحتاجُ إلى ترجمانٍ؛ حينَ يحكمُ الملكُ بالعدلِ، يصفقُ له النخيلُ
في العراقِ كما تصفقُ له الغاباتُ في جوهورَ ، والآنَ، وبكلِّ هيبةٍ
القانونِ، ورقةِ الفنِّ وعنفوانِ الشعرِ، أفتحُ دفترَ قلبي لأخطَّ سيرةَ ملكٍ
استحقَّ أن يُخلَّدَ في ذاكرةِ القصائدِ، وأن يُرفعَ اسمهُ كتاجٍ فوقَ رأسِ
الشرقِ، إنّ قراءتي لشخصيةِ الملكِ إبراهيمِ إسكندرَ، من خلالِ عدسةِ
صديقي جعلتني أدركُ أننا أمامَ طرازٍ فريدٍ من الحكامِ، الذينَ يؤمنونَ بأنَّ
العرشَ ليسَ مكانًا للاستراحةِ، بل هو محرابٌ للخدمةِ، وفي تاريخِ الأممِ
هناكَ ملوكٌ بنوا قصورًا من مرمرٍ، وهناكَ ملوكٌ بنوا صروحًا من كرامةٍ
وجلالةِ الملكِ اختارَ الصنفَ الأصعبَ، اختارَ أن يبنيَ في قلبِ كلِّ
ماليزيٍّ دولةً ، رأيْتُ في سيرةِ جلالتهِ تجسيدًا للمقولةِ القضائيةِ القديمةِ:
«العدلُ أساسُ الملكِ»، لكنَّه لم يحصرِ العدلَ في قاعاتِ المحاكمِ فحسبُ

بل مدّ ظلاله لتشمل العدالة الاجتماعية والفرص المتكافئة والنهضة التقنية التي لا تترك أحداً خلف الركب، ونرى في هذا التوجّه فقّه العصر حيث يتحوّل الحاكم إلى ضمان أخلاقية وقانونية لتقدم الأمة وإنّ أحلام جلاله الملك إبراهيم التي حدّثني عنها صديقي، لم تكن مجرد أمنيات، بل كانت مشاريع حياة ترسم معالم ماليزيا لتكون منارة الشرق بأسره وبصفتي فناناً تشكيليّاً يرى العالم من خلال الألوان، لم أجد وسيلة أوفى للتعبير عن سيرة الملك من هذا الفنّ الحديث إنّ حياة الملك إبراهيم هي بحدّ ذاتها لوحةً سرّاليةً مذهشةً تجمع بين عبق التراث الإسلامي الماليزيّ العريق، وبين صخب المحركات وسرعة الطائرات وحادثة الذكاء الاصطناعي، هذا الاشتباك الفنيّ هو ما حاولت تجسيده في ديوان «تاج الشرق»، إذ يعكس القوة الكامنة خلف الانكسارات البصرية، وهو تماماً ما يمثله الملك في قدرته على تحويل التحديات إلى نقاط انطلاق، وعندما

أرسمُ بالكلماتِ ملامحَ جلالتهِ فإنَّني لا أنقلُ صورةً فوتوغرافيةً، بل أنقلُ
الطاقةَ التي تنبعثُ من قراراتِهِ والسرعةَ التي تمتازُ رؤيتهُ، والدقةَ التي تضبطُ
أحكامه؛ إنَّها محاولةٌ لترجمةِ النبضِ الملكيِّ إلى لغةٍ يفهمها جيلُ
التكنولوجيا ويقدرُها جيلُ الأصالةِ ، ولا يمكنني كعراقيٍّ، أن أكتبَ عن
ماليزيا دونَ أن أشعرَ بذلكَ الخيطِ الخفيِّ الذي يربطُ بينَ بغدادَ
وكوالالمبور؛ نحنُ أبناءُ حضاراتٍ شَيَّدتِ التاريخَ بمدادِ العقلِ وعرقِ الجبينِ
إنَّ نخيلَ العراقِ الذي شهدَ ولادةَ أولِ قانونٍ في التاريخِ، يُحيي اليومَ شجرَ
المانغروفِ الذي يحمي شواطئَ ماليزيا وهذا الربطُ الوجدانيُّ هو ما جعلني
أشعرُ بأنِّي لا أكتبُ عن ملكٍ بعيدٍ، بل عن قائدٍ يمثلُ قيمنا الشرقيةَ في
أبهى صورها، لقد كانتَ ماليزيا دائماً في قلبِ العراقيينَ مثلاً للنهضةِ التي
تحترمُ الهويةَ، واليومَ في ظلِّ قيادةِ الملكِ إبراهيمَ نرى هذا المثالَ يتحوَّلُ إلى
واقعٍ يبهِّرُ الأبصارَ، إنَّ ديوانَ «تاج الشرق» هو رسالةٌ من أرضِ الأنبياءِ

والشرائع إلى أرض التسامح والنماء، مؤكّدين فيها أنّنا، وإنْ باعدت بيننا
الجغرافيا يجمعنا همُّ الإنسان وتطلُّعُهُ نحو غدٍ يسودُّه العدلُ والجمالُ ، نحنُ
نعيشُ في زمنٍ تلاشتُ فيه القيمُ تحت طوعةِ الماديةِ، وبرزتِ الحاجةُ إلى
رموزٍ تعيدُ لنا الثقةَ بالإنسانِ، ويأتي هذا الديوانُ ليكونَ صرخَةً للتمسكِ
بالجمالِ والعدلِ وقد سحَّرتُ كلَّ ما تعلَّمْتُه في دروبِ الشعرِ والقانونِ
والفنِّ لأصوغَ نصًّا لا يُقرأ بالعيونِ فقط، بل بالبصيرةِ، إنَّ المتأملَ في
الغنْفوانِ العسكريِّ لجلالةِ الملكِ إبراهيمِ إسكندرَ يدركُ أنَّ البدلةَ
العسكريةَ لم تكن لديه مجردَ رتبٍ ونياشينَ، بل كانت مدرسةً لتَهذيبِ
الروحِ وصقلِ الإرادةِ وقد علَّمَهُ الميدانُ أنَّ القيادةَ هي التقدُّمُ في الصفوفِ
لا إصدارُ الأوامرِ من المكاتبِ، لذا رأيناهُ يكسُرُ العزلةَ الملكيةَ ليقودَ
دراجتَهُ الناريةَ في رحلةِ جوهورَ السنويةِ عابراً الغاباتِ، مقتحماً القرى
متلقياً دعواتِ البسطاءِ بقلبٍ مفتوحٍ، وإنَّ هذا الفارسَ الذي يسكنُ

داخلَ الملكِ هو الذي يعطي للتاجِ معناه الحقيقيَّ التاجُ الذي لا يمنعُ
صاحبهُ من ملامسةِ ترابِ الأرضِ وقد حدَّثني صديقي كثيراً عن ولايةِ
جوهورَ، وكيفَ تحوَّلت إلى نموذجٍ للتنميةِ التي تحترمُ الإنسانَ وإنَّ العدالةَ
التي يمارسها الملكُ ليست فصلاً في الخصوماتِ، بل توزيعٌ للأملِ وعندما
قرَّرتُ أن يكونَ عنوانُ ديواني «تاجُ الشرقِ»، كنتُ أدركُ أنَّ هذا التاجَ
مرصعٌ بآمالِ الملايينَ، وأنَّ الملكَ إبراهيمَ هو الحارسُ الأمينُ لهذا الكنزِ
وهو مهندسُ النهضةِ الذي يعرفُ كيفَ يضعُ حجرَ الأساسِ للقيمِ قبلَ
المباني، وهذا هو سرُّ الخلودِ، وفي مرسمي في العراقِ، أتأملُ ذلكَ الربطَ
السحريَّ بينَ نخيلِ العراقِ وشجرِ المانغروفِ في ماليزيا ، وإنَّ «تاجَ
الشرقِ» ليسَ لقباً بل رمزَ وحدةٍ مصيرٍ بينَ أممِ الشرقِ، وإنَّ الروحَ التي
تسري في هذا الديوانِ روحٌ تؤمنُ أنَّ العدلَ في جوهورَ هو نفسهُ العدلُ
في بغدادَ، وأنَّ الإنسانَ ينحني للحاكمِ الذي يرى في السلطةِ أمانةً ، وفي

الختام، لا يمكنني إلا أن أنظر بعينِ الوفاءِ إلى صديقي أحمدَ دَحَّامَ، الذي لم ينسَ جذورَهُ، بل جعلَ من نجاحِهِ جسرًا للمحبةِ، والشاهدَ الذي نقلَ الحقيقةَ بقلبه قبلَ لسانِهِ إنّ دورَ الصديقِ الوفيِّ في حياةِ المبدعِ هو دورُ الملهِمِ الذي يفتحُ الأبوابَ المغلقةَ، ولولا تلكَ المكالماتُ التي كانت تقطعُ سكونَ ليالي بغدادَ لتخبرني عن مآثرِ الملكِ، لما تولدتُ هذهِ الملحمةُ فصديقي لم ينقل لي أخبارًا، بل نقلَ لي إحساسًا بالوطنِ الذي وجدَهُ في ماليزيا ولم يشعر فيه بالغرابةِ، وهذا الإحساسُ هو أعظمُ مدحٍ يمكنُ أن يناله حاكمٌ؛ أن يشعرَ الغريبُ في أرضِهِ بأنَّهُ في بيتهِ لذا فإنني، في «تاج الشرق»، أُحِلِدُ أيضًا هذهِ القيمةَ الإنسانيةَ العاليةَ؛ قيمةَ الضيافةِ التي حوّلت صديقي وعائلتهُ إلى سفراءَ للحبِّ بينَ شعبينِ عظيمينِ وأقولُ لَهُ: شكرًا لأنّكَ كنتَ الجسرَ الذي عبرت عليه مشاعري لتستقرَّ في حضرةِ الملكِ إبراهيمِ إسكندرَ، شكرًا لأنّكَ كنتَ تلكَ العينَ الصادقةَ التي نقلت

لي الضوء في عتمة المسافات، لولا شهادتك الحية، لما كان لهذا الديوان
أن يرى النور، وإنَّ «تاج الشرق» هو ثمرة هذا التلاقي، وهو هديتي
المتواضعة من قلب العراق إلى عرش ماليزيا ، يا صاحب الجلالة المعظم
تقبّل مني هذا النبض الشعريّ والمعراج الذي صاغته مشاعرُ الوفاء من
قريحتي الشعرية...دعونا نفتح الآن صفحات ديوان «تاج الشرق»، لتبدأ
الرحلة، ولينبض الشعرُ في سيرة ملكٍ استحقَّ أن يكون أسطورةً في زمنِ
الواقع، وحقيقةً في زمنِ الخيال...

نُبُوَةُ الزَّمَنِ

اسْمُكَ لَمْ يَكُنْ اسْمًا

فِي سَجَلَاتِ الْقُصُورِ

بَلْ كَانَ وَعْدًا...

يَتَهَامَسُ بِهِ النَخِيلُ

فِي جَوْهَرٍ...

وَحَلَمًا يَرَاوِدُ الْمَلِكَ إِسْكَندَرَ

وَهُوَ يَرْقُبُ الْأَفْقَ

قَبْلَ أَنْ تَفْتَحَ

الْعَيْنُ عَلَى الدُّنْيَا...

كَانَتْ النُّجُومُ تَرْتَّبُ

مصفوفة القوة

والبحرُ يخفي في محارته

لؤلؤة التاج القادم...

كنت فكرةً من عنفوانٍ

امتزجت فيها هيئةُ الملوكِ

برقةِ الياسمينِ

صيغت من صمودِ الأرضِ

وطموحِ السحابِ...

تحمّلُ سرَّ الدولةِ

وتتظّرُ لحظةً

انشقاقِ الفجرِ

الذي سيجمعُ شتاتَ

الضوء في كَفَيْكَ...

قبلَ الولادةِ

كانتِ الأرضُ تنهياً

والخيولُ في الإسطبلاتِ

تصهلُ لشمسٍ لم تولد بعدُ

والغاباتُ تحبسُ أنفاسَها

بانتظارِ خطوةِ القدرِ

والبحرُ يودّعُ عمقه

في قلبٍ لم ينبض...

لم يكن مجردَ طفلٍ

ينتظرُ المهدَ

بل قراراً تاريخياً

يكتبهُ الزمنُ

ليكونَ الجسرَ

بينَ ماضٍ عريقٍ

ومستقبلٍ لا تحدُّه الجهاتُ...

نبوءةٌ في ضميرِ الغيبِ

جئتَ لتؤكدَ أنَّ الملوكَ

لا يولدونَ صدفةً

بل يأتونَ كالأمطارِ

بعدَ طولِ انتظارٍ...

كالقصائدِ العظيمةِ

قبلَ أن يلمسها القلمُ

هكذا كنتَ...

وهكذا صرت...

تاج الشرق

الذي كان يُنتظرُ

فصارَ البدايةَ والنهايةَ...

قبلَ أن يكتبَ

الوقتُ أولَ حروفِهِ

كانتِ الأيامُ في جوهرٍ

تعيدُ ترتيبَ نفسها

والبحرُ أودعَ عمقَهُ

قلبًا لم يولد

والبرقُ سلّمَ سرعتهُ

لعروقٍ لم تتكون

والأرضُ منحتُ

ثباتها لخطي

ستطأُ الترابَ غدًا...

في ممراتِ القصورِ القديمةِ

كانَ الهواءُ مشبعًا

بالبخورِ والبارودِ

بينَ الحريرِ وصلابةِ الدرعِ

كانَ الأجدادُ يراقبونَ النجومَ

كأنَّهم يبحثونَ عن اسمِ

مكتوبٍ في السماءِ

الملكُ إبراهيمُ القادمُ...

من بينِ شقوقِ الغيبِ

في ذلك اليوم
كانت جوهراً
تمسك أنفاسها...
الأشجار تنحي
والسماء تتزين
ببريق غير مألوف
كأنّ النجوم خرجت
من مداراتها لتشهد
لحظة الميلاد...
لم يكن انتظاراً لوليدٍ
بل لزلزالٍ خفيفٍ
في باطن الغيبِ

لقائدٍ سيكسُرُ

رتابةَ الضوءِ

ويصنعُ نخضةَ الشمسِ...

فجأةً...

انشقَّ صمتُ الليلِ

عن صرخةٍ هزّت

أركانَ القصرِ

فأجابَ الرعدُ

السَّمَاءَ بالتحيةِ...

هنا... وُلِدَ إبراهيمُ

انبثقَ من رحمِ الوفاءِ

ليحملَ قدرَ التاجِ

ورسالة الزمن...

في صوته هدير المستقبل

وفي عينيه بريق قادم

وفي قبضته عهد

مع الأرض والماء...

البحر منحه

سرّ الملاحة

والغابة أهدته

صبر النمر

وشموخ الأبنوس...

الريح همست في أذنه

ستكون الإعصار

الذي يهدمُ التخلّفَ

والنسيمَ الذي يداوي

جراحِ الناسِ...

كانَ الزمنُ ينظرُ

إليهِ بدهشةٍ

ويدركُ أنَّ بينَ يديهِ

رجلَ الأقدارِ

الذي سيعبرُ بجوهورِ

من ضيقِ التاريخِ

إلى رحابةِ الأبدِ...

انفجرتِ جوهورُ

بالزينةِ والأغاني

الفلاحون تركوا مناجلهم

والصيادون رفعوا أشرعتهم

والأطفال رسموا

على دفاترهم تاجًا ونمراً...

لم يعد هناك

غريبٌ أو قريبٌ

فالمدينة كلها صارت

قلبًا واحدًا

لأنَّ المولودَ لم يكن فردًا

المولودُ وطنٌ...

مِحْرَابُ الْحَرْفِ

فِي جَوْهَوْرَ ...

كَانَ الطِّفْلُ يَسِيرُ

أَحْلَامُهُ خَضْرَاءُ تَزْهَرُ ...

لَمْ يَكُ مُحَضَّرَ صَبِيٍّ يَلْهُو

بَيْنَ رِيَاضِ الْقَصْرِ

بَلْ كَانَ نَشِيدًا

تَعَزُّفُهُ الرِّيحُ لِيَتَحَرَّرَ ...

كَانَتْ جَوْهَوْرُ

تَرَاقِبُ خَطْوَتَهُ

تَمْسَحُ عَنْ قَدَمَيْهِ

غبارِ الطرقاتِ

وتهمسُ في أذنِ الفجرِ

هذا الآتي من صلبِ المجدِ

من نسلِ الغيمِ

سيكونُ ملاذًا

للناسِ ومنبرًا...

وأنت لحظةُ

ترويضِ الحرفِ

أمامَ الطاولةِ الخشبيةِ

جلسَ الملكُ الصغيرُ

يحدِّقُ في المحبرةِ السوداءِ

كأنَّ بها بحرًا

يَمْتَدُّ إِلَى أَقْصَى الدُّنْيَا

أَمْسَكَ بِالْقَلَمِ

يَدُهُ لَا تَرْجَفُ

كَعَصْفُورٍ بَلَّغَهُ الْمَطَرُ...

لَكِنَّ يَدَ الْأَبِ إِسْكَندَرَ

كَانَتْ كَالسِّدِّ

تَعَلَّمَهُ كَيْفَ يَشُدُّ الْأَلْفَ...؟

لِتَكُونَ عَمُودًا لِلْحَقِّ...

وَكَيْفَ يَدُورُ مَعَ النُّونِ...؟

لِيَحْضَنَ فِيهَا صَدَقَ الْقَوْلِ...

ثُمَّ مَضَى... نَحْوِ الْعِلْمِ

حَمَلَ فِي حَقِيبَتِهِ

بقايا من ريح الملايو

وقلبًا يخفقُ للعلی...

بین كتبِ التاريخِ

وآدابِ الغربِ

لم ينسَ جذورَ النخلِ

تعلَّم أنَّ الحرفَ سلاحٌ

وأنَّ القراءةَ فتحٌ للآفاقِ...

قرأ عن العدلِ

بروحِ القاضي

قبلَ أنْ يصبحَ

للعرشِ ملكًا

وكتبَ عن الصبرِ

بقلبِ الفنانِ

ليرسَمَ للغدِ

لوحةً نصرٍ كبرى...

يا ملكاً لم ترَ عيني

محرابك يوماً

لكني أبصرْتُكَ

في كلماتِ صديقي

ذاك العراقيّ الصادقِ

جاءَ يحدِّثُنِي عنكَ...

كيفَ صرْتَ

أباً للمحتاجينَ...؟

وعن طالبِ علمٍ

أدرك أنَّ الكرسيَّ زوالٌ

وأنَّ الحرفَ هو الإنسانُ

يقرأ أوجاعَ البسطاءِ

ويخطُّ العهدَ بدمعِ الحبِّ

ليصنعَ وطنًا أظهرَ...

بماءِ الشعرِ رسمتُ

لكَ الكلماتِ

بنورِ الحروفِ

نصفٌ عربيٌّ

ونصفٌ ملايو

يلتقيانِ في قلبٍ واحدٍ...

وعلى ضفّاتِ النفسِ

شَيَّدْتُ جَسْرًا

يَعْبُرُهُ الْأَيْتَامُ نَحْوِ الضِيَاءِ

لَمْ تَكُنِ التَّيْجَانُ زِينَةً

بَلْ مَسْئُولِيَّةٌ...

يَا سَلِيلَ الْمَجْدِ...

كَمْ مِنْ رِسَالَةٍ

بَعَثَتْهَا لِلْقُلُوبِ

كَانَتْ شِفَاءً...؟

أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي صَاغَ

مِنْ الْحَبْرِ سَيْفًا

وَمِنْ التَّوَاضُعِ دَرْعًا...

نَرَى فِي مَحْيَاكَ

صدق الجدود

وفي كَفَيْكَ غِيثًا

فلا الغربُ أنساكَ

طيبَ المنابتِ

ولا الملكُ أغواكَ...

لقد وصلَ الحرفُ

إلى بلادِ الرافدينِ

يزفُّ البشائرُ

ويبقى اسمُكَ نائراً...

ولادةُ النَّاجِ

في ليلةٍ من الليالي
كانت جوهورُ
تغسلُ أقدامَها بماءِ البحرِ
تتكئُ على مضيقِ الماسترِ
ترتّبُ أمواجَها
كما يرتّبُ القاضي أوراقَهُ
تمسحُ جبينَ الشاطئِ
برذاذِ مالِحٍ
وتنتظرُ صرخَةً تشقُّ
صمتَ القصرِ العتيقِ

تعيدُ ترتيبَ النجوم

في سماءِ الملايو...

وُلدتَ بينَ شموخِ الأرضِ

التي لم تنحنِ يوماً

وعراقَةَ الضبابِ البعيدِ

القادمِ منْ خلفِ البحارِ

كأنَّكَ جسرٌ

منَ الياسمينِ النادرِ

يربطُ بينَ شمسِ الشرقِ

الحارقةِ بالكرامةِ

وهدوءِ الغربِ

المسكونِ بالأسرار...

في عينيك لونُ الغاباتِ

يمنتجُ بزقةَ المحيطاتِ

وفي صوتك صدى

الأجدادِ السلاطينِ

يصافحُ أناقةَ الحاضرِ

وروحَ العصرِ...

منذُ المهدِ لم يكنِ التاجُ

جسمًا من ذهبٍ

بل كانَ نورًا

يرقبُ جبهتكِ السمراءُ

يتفرّسُ في ملامحكِ

هل هذا الفتى

سيحملُ الأمانةَ...؟

فتجيئُهُ ابتسامَةً الطفلِ

وقبضةُ يدِكَ الصغيرةِ

التي أمسكتَ بطرفِ القدرِ...

كانَ الأبُّ ينظرُ إليكَ

كمن ينظرُ إلى أفقٍ جديدٍ

ويرى في صرخَتِكَ الأولى

قصيدةً لم تُكتبْ بعدُ

وديوانًا سيخلِّدُهُ الزمانُ...

تلكَ الليلةُ

لم تكنَ عابرةً

بل كانتَ مزجًا

من ألوانٍ سرياليةٍ...

أروغُ الملوكِ يتداخلُ

معَ فيروزِ الماءِ

وخطوطُ من برقٍ

ترسمُ طريقَ الغدِ...

كانتِ الرياحُ تهمسُ للأشجارِ

وُلدَ اليومَ من سيقودُ القطارَ

ومن سيطوفُ الفيافي

يبحثُ عنِ الناسِ

ومن سيكونُ قلبُهُ

بيتًا للجميعِ

في حضنِ جوهورٍ...

بينما كانَ التاريخُ

يفتحُ دفترَهُ الجديدَ ليكتبَ

هنا بدءاً الحلمُ...

هنا وُلدَ الملكُ إبراهيمُ...

نَبْضُ الْقَصْرِ

في ممراتِ القصرِ القديمِ

كَانَ الطِّفْلُ يَرْكُضُ

خَلْفَ ظِلِّهِ...

يَلَا حَقَّ فَرَاشَاتِ

جَوْهَرَ الْمَلُونَةِ

كَأَنَّهَا حُرُوفٌ طَائِرَةٌ

لَمْ تَسْكُنِ الدَّفَاتِرَ بَعْدُ...

لَمْ يَكُنْ يَدْرِكُ

أَنَّ خَطَوَاتِهِ الصَّغِيرَةَ

هِيَ إِيقَاعُ لَزْمِنٍ قَادِمٍ

ضحكتُهُ العفويةُ

نشيدُ تحفظُهُ الجدرانُ...

كانت شمسُ جوهورَ

تشرقُ من عينيهِ أولاً

تغزلُ من خيوطِ

الذهبِ شعاعًا

ليعبثَ بجداولِ الوقتِ...

بينما البحرُ

خلفَ النوافذِ العاليةِ

يهمسُ لهُ بلسانِ الموجِ:

يا صغيرَ السلطانِ...

أنتَ لستَ مجردَ

طفلي يلهو بالرملِ

أنتَ الموجةُ

التي ستصونُ الشطآنَ...

في تلكَ الأيامِ الخاليةِ

منَ القيودِ...

كانَ قلبُهُ ورقةً بيضاءَ

حكاياتٍ منَ الوفاءِ

ولم يعرف فيها القلمُ

طريقًا للورقِ...

كانَ يرى

في والدِهِ إسكندرَ

جبلًا يسندُ

السماءَ بكتفيه...

وفي حضنِ أمِّه

وطناً أوسعَ

منَ الخرائطِ والجغرافيا...

تلكَ الطفولةُ

لم تكنَ ألعاباً

وُدُمى من عاجٍ

بل كانت درسا صامتاً

في حبِّ الأرضِ...

تعلَّم فيها لغةَ الريحِ

حيثُ تداعبُ النخيلَ

وصوتَ المطرِ

حينَ يقبَلُ جبينَ الغاباتِ ...

كَانَ يجمعُ المحارَ

منَ الشاطئِ

كَأَنَّهُ يجمعُ

لآلئَ الحكمةِ للمستقبلِ

ويبني قلاعًا من رملٍ

لا لتهدمها الأمواجُ

بل ليتعلَّم

كيفَ تُبنى القلاعُ

التي لا تسقطُ...؟

يا طفلَ جوهورِ الرائعِ

الذي صارَ اليومَ ملكًا

يسكنُ القلوبَ...

في ملامح طفولتك

قرأنا براءتنا التي تاهت

في زحام الأيام...

رأينا في ركضك

خلف الفراشات

عنقوان الملك

الذي لا يملُ

منَ العطاء...

وفي صمتك

أمام هيبَةِ الأبِ

انضباطَ القائدِ

الذي سيعلمنا
أنَّ العظمة تبدأ
من سجادة الصلاة
وطهرِ الطفولة
وعطرِ الدار...
نصفنا العربيُّ
يكتبُكَ بدموعِ الحنينِ
ونصفنا الإنجليزيُّ
يترجمُكَ لغةً للحبِّ
لكي يكتملَ القلبُ
في منتصفِ الكتابِ...
ونعلمُ أنَّ الملوكَ

مهما عَلُوا

تبقى طفولتُهُم

هي المبتدأ والخبر...

فَجُرُ الحُلُمِ

لم تكن ولادتك

يا جلالة الحلم

حدثاً عابراً

بل كانت ولادة فكرة

تتنفس من ضوء

وبداية نهضة

تُكتب بمداد العزم...

ولدت ليس كصوت

في سجل الزمان

بل كفجرٍ شقّ

ليل الانتظار

وقمرٍ استقرَّ

في سماءِ الأملِ لا يغيبُ...

سلامٌ على يومٍ

أطللت فيه

وسلامٌ على أرضٍ

احتضنت أولَ خطاك

كأنَّها كانت تعدُّ نفسها

لاستقبالِ القدرِ

في تلكَ اللحظةِ

التي ارتجفَ فيها السكونُ...

لم تكنِ الصرخةُ مجردَ ميلادٍ

بل كانت إعلاناً أول

لعهدٍ جديدٍ...

كأنَّ التاريخَ توقفَ

ليكتبَ اسمَكَ

بحروفٍ من ضياءٍ

ويفتحَ بابًا لعصرٍ

لا يشبهُ ما قبلَهُ...

اهتزَّتِ المآذنُ فرحًا

وتردَّدَ الصدى في البعيدِ

وانهمرَ المطرُ

كأنَّه يغسلُ وجهَ الأرضِ

بماءِ الوفاءِ...

والصيادونَ على السواحلِ

أطلقوا أهazيجهم

والنخيلُ رقصَ

معَ الريحِ طربًا

كأنَّ العالمَ كلُّه

قد أدركَ أنَّ لحظةً

مختلفةً قد ولدت...

جوهورٌ لم تكن

مجردَ مكانٍ

بل كانت مهدها

احتضنَ الحلمَ

وموْجُ موارٍ غسلَ

أول يقينٍ في الخطى
وجبلٌ ليدانَ رفعَ فيك
معنى الشموخ...
هناك حيثُ يلتقي
البحرُ بالأرضِ
ارتسمت ملامحُ البداية
كأنَّ الطبيعةَ كلَّها
كانت تتهيأُ لولادةِ المعنى...
الموانئُ فتحت أبوابها
والغاباتُ المطيرةُ
ارتجفت فرحاً
والسكونُ لم يعد صمتاً

بل دعاءً مكتومًا...

في قلبِ الكونِ

لم تولد لتكونَ اسمًا

في دفاترِ العابرينَ

بل لتكونَ فكرةً

تمشي على الأرضِ

تجمعُ بينَ قوةِ العدلِ

ورقةِ الحلمِ...

جئتَ لتجعلَ

منَ العرقِ نشيدًا

ومنَ التعبِ طريقًا

إلى المجدِ...

ومن الإنسان قيمة لا تُكسرُ

لم يكن العرشُ غايةً

بل كان مسؤوليةً

تعيدُ تعريفَ التاجِ

ليكونَ سقفًا

يحتمي به الضعفاءُ

ومنصةً ينطلقُ منها

الطامحونَ نحوِ الضوءِ...

يا من عبرتَ

من ضوءِ البدايةِ

إلى سعةِ المعنى

سيبقى اسمُكَ ظلاً للمجدِ

حين يُذكرُ

وقصةً تروى للأجيالِ

عن فجرٍ لا يَفلُ...

فما غابَ فجرٌ أنتَ شمسُهُ

ولا انطفأَ نورٌ أنتَ نبرتُهُ

بل أنتَ بدايةُ حكايةٍ لا تنتهي

تبدأ كلَّ يومٍ

وتعيدُ للعالمِ يقينَهُ

بأنَّ المجدَ حينَ يولدُ

يقتحمُ صمتَ

التاريخِ كالرعدِ...

الملكُ إبراهيمُ

نبضًا للخير والعطاء

نقشٌ لاسمك

ليبقى شاهداً

بأنَّ الجمال الحقيقيَّ

هو الذي يجمعُ

بينَ هيبةِ الملكِ

وتواضعِ العلماءِ

أركانُ الزمنِ

ملحمةُ الأرضِ

التي لا تنحني...

اليومَ يكتملُ البنيانُ

فالتاريخُ لم يعدْ

ماضيًا نذكرُهُ

بل هو غدٌ نصنعُهُ

سطرٌ جديدٌ

في هذا السفرِ

نروي فيه حكايةَ أرضٍ

كلَّما حاولَ الزمنُ كسرَها

نبتت من جديدٍ

تاجًا مرصعًا

جغرافيا للسحرِ

في ألوانِ ماليزيا...

نَهْرُ الْحَبْرِ

على مقاعدِ الدرسِ

كَانَ الْوَقْتُ يَمُرُّ

كَأَنَّهُ نَهْرٌ مِّنَ الْحَبْرِ...

وَالطِّفْلُ الَّذِي رَكُضَ

خَلْفَ الْفَرَاشَاتِ يَوْمًا

صَارَ يَرُوضُ الْحُرُوفَ

كَخَيُْولٍ بَرِيَّةٍ...

لَمْ تَكُنِ الْحَقِيبَةُ الْمَدْرَسِيَّةُ

حَمَلًا عَلَى الْكَتِفِ

بَلْ كَانَتْ وَطَنًا صَغِيرًا

ينمو مع الأيام...

وكانت الدفاتر

مساحات بيضاء

تنتظر نقش القدر...

في مدرسة الحروف

حيث الضباب يغازل

النوافذ الغربية...

لم يكن طالباً

يملاً الأوراق بالكلمات

بل كان يبني في عقله

جسوراً من النور...

تعلم أن الألف

ليست خطأً مستقيماً

بل هي قامَةُ الملكِ

التي لا تنحني...

وَأَنَّ الدالَّ هي الدارُ

التي تسكنُ الروحَ

وَأَنَّ الرائَّ

هي الرحمةُ

التي تسبقُ العدلَ...

بينَ كتبِ التاريخِ

وحسابِ الأرقامِ

كَانَ يقرأُ سيرةَ

الأجدادِ السلاطينِ...

يسمَعُ صهيلَ خيولهم

في ثنايا الورق

ويشعرُ ببرودةِ السيوفِ

في حبرِ القلمِ...

لم يغرهُ بريقُ المدنِ الكبرى

ولا الأضواءُ والصخبُ

كانَ يذاكرُ دروسَهُ

وعينهُ على جوهورٍ...

يسمَعُ نداءَها

في صمتِ المكتباتِ

ويشمُّ عطرَ ياسمينها

في حبرِ الغربةِ...

يا طالبًا رسمَ المستقبلَ

بمدادِ الصبرِ...

إنَّ الملكَ الذي نراهُ اليومَ

ليسَ إلا ذلكَ الطالبَ

الذي سهرَ الليالي

يقرأُ في وجوهِ الناسِ

قبلَ أن يقرأَ في الكتبِ...

تعلَّم كيفَ يفكُّ

رموزَ المسؤولية...

وكيفَ يكتبُ الوفاءَ

بدمعِ الاجتهادِ...؟

وكيفَ يوازنُ

بينَ علمِ الغربِ
وقيَمِ الشرقِ...؟
ليصنعَ من نفسه
ميزاناً لا يميلُ...
في قاعاتِ المحاضراتِ
لم يكن يبحثُ
عن شهادةٍ...
بل عن الحكمةِ
التي لا تشيخُ...
تعلّم فنَّ القيادةِ
في صمتِ المفكرينَ
وفنَّ التواضعِ

في عظمة الباحثين...

وأدرك أنّ العلم

هو التاج الحقيقي

وأنّ المعرفة

هي الصولجان

الذي لا يُكسر...

تلك السنون

التي صقلت روحك

جعلت من اسمك قصيدة

يرونها المغتربون...

نكتبك اليوم

ليعلم كل طفل

أَنَّ طريقَ العرشِ
يبدأُ من عتبةِ الكتابِ...

وَأَنَّ الملوكَ العظامَ

همُ الذينَ انحنوا للعلمِ طويلاً

قبلَ أن تنحني لهمُ الرؤوسُ...

هنا يكتملُ نصفُ القلبِ

في محرابِ الدرسِ

وينتظرُ القلمُ

ليكتبَ في ميادينِ العزِّ...

مِعْرَاجُ السُّلْطَانِ

خلفَ المحيطاتِ

في الممراتِ الصامتةِ

بروعةِ العلمِ

لم تكن مجردَ عابرٍ

يقتفي أثرَ المعرفةِ...

بل كنتَ حكيماً

يرتدي عباءةَ التلميذِ

يسهرُ مع الكتبِ

التي تشرعُ أبوابَ الأممِ...

تركتَ خلفك

جوهور الدافئة
لتواجه صقيع الغرب
بدفء الانتماء
وتحمل في حقيبتك
ميزان الحق
قبل أن تضعه الأقدار
على عاتقك...
بين قاعات القانون
والسياسة الدولية
كنت ترسم في خيالك
حدود الوطن...
ليس بالخرائط والخبز فقط

بل بالعدلِ الذي
لا يميلُ معَ الريحِ...
درستَ فنَّ الممكنِ
وصراعَ القوى
لكنَّكَ كنتَ تبحثُ
عن فنِّ الحقِّ
عن الكلمةِ التي
لا تكسرُها العواصفُ
وعن السيادةِ التي تسكنُ
في قلوبِ الناسِ
قبلَ أن تسكنَ
في نصوصِ الدساتيرِ...

يا طالبًا سكنتِ
الغربةُ جسدهُ...
ولم تسكنِ روحهُ
ملكًا صقلتهُ قاعاتُ
الجامعاتِ الكبرى
لكنَّهُ ظلَّ وفياً
لترابِ الأرضِ
وظلَّ الملايو تاجهُ الأسمى...
تعلمتَ كيفَ تُدارُ
الدولُ بالعقلِ...؟
وكيفَ يَـصافُحُ الحاكمُ
شعبَهُ بلغةِ العصرِ...؟

وكيفَ يكونُ القانونُ

سياجًا يحمي

الضعيفَ قبلَ القويِّ...؟

وظلاً يستظلُّ بهِ المتعبونَ

في هجيرِ الأيامِ...

في تلكَ الليالي الطويلةِ

بينَ أوراقِ البحثِ

ومسوداتِ القوانينِ

كنتَ تتأملُ في سيرِ

العظماءِ مِنَ الملوكِ...

وتدركُ أَنَّ العظمةَ

ليست في القصورِ العاليةِ

بل في الحكمة التي

تسكن نونَ القلم

التي تفتح مغاليقَ الصدور...

لم تكن تدرسُ

لثُمَّجَدَ اسمِكَ

بل لتصنعَ لجوهورَ وماليزيا

فجرًا جديدًا

يُكتبُ بمدادِ النور...

يا ابنَ الملكِ إسكندرَ

الذي جمعَ بينَ

صرامةِ القائدِ

ورقةِ المفكر...

في الجامعة كنت السفير

الذي لا يحمل أوراقاً

بل يحمل في ملاحه السمراء

صدق الشرق

وفي عقله المتوقد

ذكاء الفرسان...

تعلمت أن الدولة بناء

وأن العدل أساس

وأن الملك الذي

لا يقرأ نبض الشارع

لا يستحق أن يكتب

التاريخ اسمه...

نكتبُ لك اليومَ

بنصفٍ يصدحُ

بالعربيةِ الصرفةِ

ونصفٍ يترجمُ فكرَكَ...

لكي يكتملَ القلبُ

في منتصفِ الديوانِ...

وأنَّ رحلةَ الجامعةِ

لم تكن نزهةً

في حدائقِ المعرفةِ

بل كانت معراجًا

نحو العرشِ...

عرشِ القلوبِ

الذي بنيتُه بوعي الحكماءِ

وعدالةِ القضاةِ

وهيبةِ السلاطينِ...

عَهْدُ الشُّمُوحِ

خلعت عباءة

الدرسِ الهادئةِ

لترتدي لونَ الأرضِ

وهيئةَ الميدانِ...

لم تكن تلكَ البدلةُ

المرقطةُ مجردَ قماشٍ

بل كانت عهدًا شريفًا

طرزتهُ خيوطُ الشموخِ

فوقَ كتفيكَ...

تركتَ مقاعدَ

الفلسفة والقانون

لتتعلم لغة النار

وصمت التربص

وتكتب بفوهة البندقية

فصلاً جديداً

من فصول السيادة...

في مراكز التدريب

بين جوهور والغرب

كنت الجندي

الذي لا يعرف النوم

تتسابق مع الفجر

فوق التلال الوعرة

وتصادقُ السلاحُ

كأنَّه جزءٌ من كيانِكَ...

تعلَّمتَ أنَّ القيادةَ

ليست أمرًا يُطاعُ...

بل هي قدوةٌ

تسيرُ في المقدمةِ

وأنَّ التاجَ الذي ينتظرُ جبهَتَكَ

لا يستقرُّ إلا على

رأسِ صهرتِه الميادينِ

وعينينِ لا يطرفُ لهما جفنٌ

في حراسةِ الوطنِ...

ثمَّ صعدتَ

نحو أعالي السحابِ

في طائراتِ الصقورِ

حيثُ الريحُ لها

زئيرٌ مرعبٌ...

وقفتَ على حافةِ القدرِ

بقلبٍ من حديدٍ...

لم تكن تخشى السقوطَ

فمن تربّى في حضنِ

الملكِ إسكندرَ

لا يعرفُ الارتجافَ...

قفزتَ...!

شققتَ صمتَ المدى

بمظلتكِ الواسعةِ

كأنَّكَ نجمٌ يهوي

ليضيءَ ليلَ الغابةِ

أو نسرٌ يختبرُ صمودَ

جناحيه في الفضاءِ...

في تلكَ اللحظاتِ المعلقةِ

بينَ السماءِ والأرضِ

كنتَ تلمسُ غيومَ اللهِ

وتشعرُ بعظمةِ الخالقِ

في دقةِ الصنعِ...

كيفَ كنتَ تقفزُ

منَ الموتِ إلى الحياةِ...؟

وكيف بدت عليك

البدلة العسكرية

كأنها خلقت لتليق

بقامتك المديدة...؟

نعم إنَّ من يعيشُ

في السحابِ

وميادين التدريبِ

لن يلينَ عودُهُ

أمامَ عواصفِ السياسةِ

ولن ينحنيَ ميزانُهُ

أمامَ أهواءِ البشرِ...

في البدلةِ الرسميةِ

بياقاتھا المنضبطة
وأوسمتك التي تلمع
كتجريدٍ فنيٍّ بارع
نرى ملامح القائد
الذي لم يكتفِ بالعرش
بل أراد أن يكونَ
درعًا لشعبه
وسيفًا في وجه
كلِّ طامعٍ ومستبدٍّ...
تعلمت في العسكرية
أنَّ الوقتَ حياةٌ
وأنَّ القرارَ مسؤوليةٌ

ثَقِيلَةٌ كَالْجِبَالِ

وَأَنَّ الْقَانُونَ الَّذِي

يَسْكُنُ فِيكَ

يَجِبُ أَنْ يَحْمِيَ عَدْلُهُ

بِقُوَّةِ الْمُقَاتِلِ...

نَكْتُبُ عَنْكَ الْيَوْمَ

وَنرْسُمُ فِي مَخِيلَتِنَا

تِلْكَ الْقَفْزَاتِ الْجَرِيئَةِ

وَنُتَرْجِمُ شَجَاعَتَكَ لُغَةً

يَفْهَمُهَا الصِّغَارُ

قَبْلَ الْكِبَارِ...

لِيَعْلَمَ الْعَالَمُ

أَنَّ مَلَكَ مَالِيزِيَا

لَمْ يَأْتِ مِنْ فِرَاقٍ

بَلْ جَاءَ مِنْ صَهِيلِ الْخَيْلِ

وَهْدِيرِ الطَّائِرَاتِ

وَمِنْ عَرَقِ الْجَبِينِ...

فِي مَعْسَكَاتِ الشَّرَفِ

يَكْتَمِلُ النُّبْضُ

بَيْنَ صِرَامَةِ السَّيْفِ

وَرَقَةِ الْيَاسْمِينِ

وَبَيْنَ هَيْبَةِ الْبَدَلَةِ

وَنَقَاءِ الرُّوحِ...

لِيُظَلَّ الْمَلِكُ إِبْرَاهِيمُ

صقراً يخلقُ

في سماءٍ الوفاءِ...

مَلِكُ الْقُلُوبِ

دَقَّتْ طَبُولُ الْقَصْرِ

فِي كَوَالِ الْمَبُورِ ...

وَاهْتَزَّ سَعْفُ النَخِيلِ

فِي جَوْهَوْرَ فَرْحًا ...

حَانَ قَطَافُ السَّنِينِ

الَّتِي زَرَعَتْهَا بِالصَّبْرِ

وَحَانَ لِلتَّاجِ أَنْ يَسْتَرِيحَ

فَوْقَ الْجَبِينِ

الَّذِي صَهْرَتُهُ الْمِيَادِينُ ...

لَمْ يَكُنْ صَعُودُكَ لِلْمَنْصَةِ

مجردَ خطواتٍ

بل كانَ عبورًا للتاريخِ

من ملاحمِ الأجدادِ

إلى ضوءِ الحاضرِ

ومن حبرِ الدفاترِ

إلى ذهبِ العرشِ...

وقفتَ هناكَ

بذاتِ البدلةِ الرسميةِ

التي تعشقُ الأناقةَ

لكنَّها اليومَ مطرزةٌ

بدعواتِ البسطاءِ

ومثقلةٌ بآمالِ أمةٍ

ترى فيك الملائكة والمنار...

عندما وضعت يدك

على الكتاب الكريم

لم تكن تقسم

كملكٍ فقط...

بل كنت تقسم بقلب

القاضي الذي يسكنك

وبعين الفنان التي ترى

الجمال في العدل...

في تلك اللحظة

صمت الدنيا

لتسمع صوتك

وهو يعيدُ صياغةَ العهدِ

معَ الأرضِ والشعبِ...

لم يكنِ التاجُ بارقًا

بالذهبِ والألماسِ فقط

بل كانَ يشعُّ بنورِ

المسؤوليةِ الثقيلةِ

كأنَّه جسرُ الياسمينِ

الذي عبرتهُ طفلًا

ليصبحَ اليومَ جسرًا

تعبُرُ عليه أحلامُ الملايينِ

نحوِ الأمانِ...

استبشرتِ الأرضُ

وكيف صارَ

الغريبُ في ماليزيا

يشعرُ أنَّه ابنُ الوطنِ...؟

وأنَّ العرشَ لم يزدِ الملكَ

إلا تواضعًا

وأنَّ الصولجانَ في يدِكَ

صارَ غصنَ زيتونٍ للسلام...

وإنَّ من تعلَّم القراءةَ

في محرابِ الحرفِ

ومن قفزَ من السحابِ

في عرينِ الصقورِ

لن يغرَّه بريقُ السلطةِ

عن ملامسة أوجاع الناس

ولن يحجبهُ القصرُ

عن سماع أنين المحتاجين...

على ذلك العرش العظيم

تجلسُ اليومَ

وبجانبك تاريخُ

من الانضباط...

تراقبُ ميزانَ الدولة

بدقة الجراح

وتديرُ دَقَّتَها

بحكمة القبطان

الذي لا يخشى الموج...

لم يعد التاج غايةً

بل صار وسيلةً

لمسح دمةٍ

وبناء وطنٍ...

وتظلُّ ماليزيا لوحةً تطور

تجمعُ بينَ عبقِ التقاليدِ

ودهشةِ التكنولوجيا

وتظلُّ أنتَ في قلبها

مركزَ البوصلة...

ملكٌ ظلَّ عرشُهُ

منبرًا للحقِّ

محرابًا للعدلِ

وقلبه بيتًا للجميع...

اكتمل القلب الآن

في منتصف الكتاب

بين طفولة ابتسمت

فيها جوهر

جامعة صقلت

العقل قانونًا

وعسكرية علمتك

أن الشجاعة حياة...

وعرش توجت عليه

ملكًا على القلوب

قبل الأجساد...

ويبدأ الملكُ عهدَهُ

ويبقى قصيدةً لا تنتهي

ومعراجًا من الأرجوانِ

نحو سماءِ الخلودِ...

نَبْضُ مَالِيزِيَا

لم يكن حُبُّهُ لِمَالِيزِيَا

مجردَ تاجٍ يوضعُ

أو حدودٍ ترسمُها

الخرائطُ الصماءُ

بل كَانَ نبْضًا يسري

في عروقه كما يسري

الماءُ في النهرِ...

أحبَّها بقلبِ العاشقِ

الذي ركضَ في غاباتِ

جوهورِ الماطرةِ

وبعينِ الفنانِ التي ترى

في تنوعِ أعراقِها

لوحةً سرّيةً

رسمها الخالقُ

بألوانِ الوحدةِ والوئامِ...

ماليزيا في صدره

ليست مجردَ وطنٍ...

بل هي القصيدةُ التي يكتبُها

كلَّ يومٍ بفعله قبلَ قوله...

عشقٌ فيها رائحةُ

التربةِ بعدَ المطرِ

وهديرَ المحيطِ حينَ يعانقُ

الشواطئ الذهبية...

لم يكتفِ بالجلوسِ

في أبراجِ كوالالمبورِ العاليةِ

بل نزلَ إلى القرى

مسحَ الغبارَ

عن جبينِ الكادحينَ

وشربَ من كؤوسِ البسطاءِ

طعمَ الوفاءِ...

رأى في كلِّ وجهٍ ماليزيٍّ

ملامحَ أخٍ أو ابنٍ

فصارَ حُبُّها

دينًا يؤدِّيهِ بالعملِ

وصلاةً يقيمها

في محرابِ البناءِ والإعمارِ...

ملكاً يذوبُ

في تفاصيلِ بلادهِ

يقودُ قاطرةَ التطورِ بيدٍ

ويحملُ همومَ الفقيرِ بالأخرى...

كأنَّ ماليزيا

قطعةٌ من قلبه

خُلقتْ من طينها...

أحبَّ أرضه

بصدقِ القاضي

وصاتها بعنفوانِ المقاتلِ...

لا يرى في الحكم
إلا خدمة الناس
ولا يرى في العرش
إلى منبراً لرفع شأن الوطن...
أحبّ في ماليزيا
تناغم الأديان والألوان
كأنّها أوتار تعزف
لحن التعايش الفريد...
دافع عن هويتها
في محافل الشرق والغرب
وظلّ يفاخرُ بجذورها
الملايوية الأصيلة

بينما عقلُهُ يسبقُ الزمانَ

نحو ذرى التكنولوجيا...

عشقُهُ لماليزيا

هو الذي جعلَ الغريبَ

يطمئنُّ في كنفِها

وجعلَ المغتربَ

يرى فيها وطنًا بديلاً

لأنَّ الملكَ بثَّ

في روحِ الأرضِ حبَّهُ

فأثمرتِ الأرضُ كرامةً

لكلِّ من وطئَ ثراها...

يا ملكًا يعشقُ أرضَهُ

حدّ الشماله...

نحنُ في بلادِ الرافدينِ

نشاطرُك هذا الهيامَ

فقدُ صرتَ في عيوننا

أيقونةَ الانتماءِ

وعَلَّمْتَنَا أَنَّ الملوكةَ العظامَ

همُ الذينَ يسكنونَ الترابَ

قبلَ القصورِ...

والذينَ يجعلونَ منَ الحبِّ

دستورًا غيرَ مكتوبٍ...

ليعلمَ العالمُ أجمعُ

أَنَّ الملكَ إبراهيمَ إسكندرَ

وماليزيا قلب واحد

نبضة العدل

وعنوانه المجد...

غِيَابُ الْجَبَلِ

سكنتُ رياحُ جوهورَ

في ذلكَ المساءِ الحزينِ

وتوقَّفتُ أمواجُ المحيطِ

عن غزلِ الحكايا...

غابَ الجبلُ الذي كانَ

يسندُ السماءَ بكتفيه

رحلَ الفارسُ إسكندرُ

عن صهوةِ الزمانِ

في تلكَ اللحظةِ

لم تكن تبكي ملجأً

غادرَ عرشَهُ

بلْ كنتَ تبكي الأبَ

الذي علَّمَكَ أولَ الحرفِ

والمعلمَ الذي صقلَ فيكَ

هيئةَ الانضباطِ

والصدرَ الذي كانَ ميناءَكَ

كلَّما عصفت بِكَ الغربةُ...

وقفتَ ببدلتِكَ

العسكريةَ المنضبطةَ

لكنَّ القلبَ في الداخلِ

كانَ يرتجفُ كغصنٍ ياسمينٍ

تحاولُ أن تتماسكَ كقائدٍ

يصرخُ في صمتِ الرحيلِ

رأيتَ التاجَ يتيمًا

فوقَ الوسادةِ الحرييةِ

والسيوفَ مطأطئةَ الرأسِ

في القصرِ العتيقِ...

فأدركتَ أنَّ العظمةَ

مهما تعالتْ

تنحني بخشوعٍ

أمامَ مشيئةِ الخالقِ

وأنَّ الموتَ هو إرادةُ اللهِ

الذي لا يُردُّ حكمُهُ...

الملكُ يحملُ نعشَ والدهِ

يمشي بوقارِ الجبالِ
وبكسرةِ اليتيمِ في عينيه
كأنَّ ماليزيا كُلُّها كانتُ
تُشيعُهُ بقلبِ
الملكِ إبراهيمَ...
وإنَّ دموعَ الملوكِ
ليست كدموعِ البشرِ
هي قطراتُ من عزّةٍ
ووشاخُ من وقارِ
وهي العهدُ الذي قطعهُ
الابنُ لأبيه...
أنَّ يبقى الأثرُ باقياً

وَأَنْ يَبْقَى الْعَدْلُ قَائِمًا

فِي ذَلِكَ الْوَدَاعِ الْآخِرِ..

كَنتَ تَلْمَسُ يَدَ

الْمَلِكِ إِسْكَندَرَ الْبَارِدَةَ

وَتَسْتَرْجِعُ ذَكْرِيَّاتِ

الطُّفُولَةِ...

وَالْمَدْرَسَةِ...

وَالْجَامِعَةِ...

تَذَكَّرْتَ كَيْفَ كَانَ يَشُدُّ

عَلَى يَدِكَ الصَّغِيرَةِ

لِتَرْسَمَ الْأَلْفَ...؟

وَكَيْفَ كَانَ يَرْقُبُ

قفزاتِكَ مِنْ الطَّائِرَاتِ

بِفَخْرِ صَامِتٍ...؟

غَابَ الْجَسَدُ

لَكِنَّ الرُّوحَ ظَلَّتْ

تَحْرُسُ خَطَوَاتِكَ

وَصَارَ صَوْتُهُ صَدًى

يَسْكُنُ فِي قَرَارَاتِكَ...

يُوصِيكَ بِالْبَسْطَاءِ

وَيُوصِيكَ بِالْأَرْضِ

وَيَذْكُرُكَ أَنَّ الْحُكْمَ أَمَانَةٌ

وَالْعَدْلَ عِبَادَةٌ

يَا ابْنَ الْمَلِكِ...

الذي ورثَ المجدَ والحزنَ معًا

نحنُ في بلادِ الرافدينِ

نعرفُ طعمَ الفقدِ

وندرُكَ أنَّ رحيلَ الأبِ

هو انطفاءُ أولِ

شمسٍ في الروحِ...

لكنَّكَ قمتَ

من وسطِ الرمادِ

حملتَ لواءَهُ

وأكملتَ مسارهَ

وجعلتَ من حزنِكَ

طاقةً للبناءِ

ومن دمعك مدادًا

لكتابة عصرٍ جديدٍ

يكتملُ هنا شطرُ القلبِ

الذي يوجعُ الفراقُ

ليعلمَ العالمُ أنَّ خلفَ

هيبةِ العرشِ...

قلبًا بشريًّا

يعرفُ كيفَ يحبُّ...؟

وكيفَ يحزنُ...؟

وكيفَ يفني...؟

وأنَّ ذكرى الملكِ إسكندرَ

ستبقى حياةً فيك

كما يبقى العطرُ

في الوردِ

بعدَ رحيلِ الندى...

ذُبُولُ الغُصَنِ

في صمتِ الليالي الطويلةِ

حينَ يتسلَّلُ الوجعُ

خلفَ أسوارِ القصورِ

وقفَ الملكُ الأبُ

أمامَ القدرِ المحتومِ...

لم يكنِ صراعًا

معَ عدوٍّ يُرى بالعينِ

بلْ كانَ نزالاً معَ الغيابِ

الذي يسرقُ النورَ...

غادرَ عبدُ الجليلِ

الغصنُ الذي تفتّق

من روحك

والأملُ الذي كنتَ تراه

يكبرُ تحتَ ظلكَ

فصارَ في لحظةٍ

حكايةً من حزنٍ

وقصةً من صبرٍ

يفتّتُ الصخرَ الصوّانَ...

بأيِّ قلبٍ وقفتَ

تُشيعُ قطعةً من كبدِكَ...؟

وأنتَ الذي خضتَ المعاركَ

وقفزتَ من السحابِ

تقفُ أمامَ نعشٍ

بقامةٍ لا تنحني

لكن بعينين تُخفيانِ

بحراً من النسيج...

خلعتْ هيئةَ السلطانِ

لتمارسَ طقسَ الأبوةِ الحزينِ

تحمّلْ وجعَكَ سرّياً

وتخُطُّ في دفترِ الفقدِ

أعظمَ دروسِ الصمودِ...

إنَّ الملوكَ حينَ يحزنونَ

يتحولُ حزنُهُم

إلى منارةٍ للصابرينِ

في كلِّ الديار...

ملكاً يوارى الثرى ولدُهُ

يمسحُ بيديه على ترابِ القبرِ

وكأنَّه يهدُّ طفلاً

ثمَّ يقومُ كالجبلِ

ليواسي شعباً

يبكي لبكائه

ويعلنُ أنَّ إرادةَ الله

هي الحكمُ العدلُ

الذي لا يُردُّ...

ملكٌ عاشَ

في محرابِ الحرفِ

أدرك سرَّ الفناءِ

يعرفُ أنَّ الأبناءَ ودائعُ

أنَّ الأرضَ مستودعُ

وأنَّ جليلاً لم يرحلْ

بل صارَ طيراً

يخلقُ في سماءِ ماليزيا

ويحرسُ قلبَ أبيه

في زوايا القصرِ

كانَ صوتهُ يملأُ المكانَ...

تركتَ له كرسياً فارغاً

يسكنُهُ الحنينُ

وجعلتَ منْ ذكره

مؤسسة للخير

لا ينضب معينها...

لم يكن حزنك

انكساراً للروح

بل كان انبعاثاً

لرحمة أوسع

وعطاء أكبر...

رأيت في كل مريض

ولداً لك

وفي كل محتاج جليلاً

يناديك من بعيد

فصار الفقد وقوداً

لقلبك الكبير

وصار الحزنُ وشاحًا

من النبلِ يزينُ مقامك...

يا ملكًا علّمتنا

أنَّ القوةَ في الدمعةِ الصادقةِ

وأنَّ العظمةَ في التسليمِ

لقاضي القضاة...

نحنُ في العراقِ

بلادِ الأوجاعِ والصبواتِ

نُشدُّ على يديك

بقلبِ شاعرٍ

يدركُ معنى الفقدِ

وبعينِ فنانٍ ترسمُ الحزنَ

بألوانِ الطهرِ والضياءِ

لقد صارَ عبدُ الجليلِ

اليومَ ابنًا...

لكلِّ بيتٍ في الملايو

وصارَ صبرُك نشيدًا

يرتلُهُ المحزونونَ...

ليعلمَ العالمُ

أنَّ الملكَ إبراهيمَ إسكندرَ

ملكٌ حينَ يقضي

وأبٌ حينَ يفقدُ

وإنسانٌ حينَ يواسي...

يكتمل هنا شطر القلبِ

الذي أحرقهُ الوداعُ

بين صمتِ القبورِ

وهيبةِ القصورِ

بين دمعةِ الأبوةِ

ووقارِ السلطانِ...

ليظلَّ ذكرُ عبدِ الجليلِ

ياسمينهً لا تدبُّ

في سماءِ النبضِ....

صَخْبُ الرِّيحِ

خلفَ زجاجِ

الخوذةِ الصامتةِ

تلمعُ عينانِ

لا تعرفانِ الخوفَ

خلفَ مقودِ

الدراجةِ الناريةِ العملاقةِ

يجلسُ الملكُ

الذي رَوَّضَ المستحيلَ...

لم تكنْ تلكَ الرحلاتُ

مجردَ هوايةٍ لعابرٍ

بلْ كَانَتْ مَعْرَاجًا يَوْمِيًّا

نَحْوِ قُلُوبِ الْبَسْطَاءِ

يَمْزِقُ فِيهَا صَمْتَ الطَّرَقَاتِ

بِهَدِيرِ الْمَحْرُكِ

لِيَكْتُبَ عَلَى خَارِطَةِ الْوَطَنِ

قِصَّةَ حُبٍّ لَا تَنْتَهِي...

أُحِبُّبَتِ الرِّيحَ

حِينَ تَدَاعِبُ وَجْهَكَ

فِي الْمُرْتَفَعَاتِ...

وَعَشَقْتَ السَّرْعَةَ

لَيْسَ كَسَبَاقٍ لِلزَّمَانِ

بَلْ لَكِي تَصِلَ

إلى دمة المظلوم

قبل أن تجفّ...

وتسبق الفجر

في تفقد أحوال الرعية...

رأيناك تقود

قطار التطور بيد

وتقبض على مقود المغامرة

باليدي الأخرى...

كأنك تخبرنا أنّ الجمود

ليس من شيم الملوك

وأنّ الحركة هي بركة الحقّ

في أرض الملايو...

ملكٌ في رحلته السنوية

كيف يجوب القرى

على دراجته

كأنه واحدٌ من الناس...؟

يصافح الصغير

ويعامح الكبير

ويأكل من زاد الفقير

ليدرك أنّ العرش الحقيقي

هو هذا الطريق الطويل

وأنّ التاج لا يمنعه

من لمس تراب الأرض...

قائد الطائرات

في سماءِ الغربةِ طالبًا

وقفزَ بالمظلاتِ

في ميادينِ العزِّ مقاتلاً...

يرى في السرعةِ لغةً للعصرِ

وفي المغامرةِ تجديداً للروح...

في سياراتِ السباقِ

وبينَ منعطفاتِ الحلباتِ

نرى فيكَ القائدَ

الذي يعرفُ متى يضغطُ

على الزنادِ...؟

ومتى يهدّئُ السرعةَ

ليعبَرَ المنعطفَ بحكمةٍ...؟

تعلّمت من المحركات

أنّ القوة تحتاج

لعقل يدبرها

وأنّ العزم بلا انضباط

كالنار بلا حطب...

هوأيّائك لم تكن ترفاً

بل كانت مدرسة

علّمتك أنّ القمة لا يصلها

إلا من يملك نفساً طويلاً

وأنّ الملك الذي يسابق الريح

هو الأقدّر على قيادة شعبه

نحو شمس المستقبل...

يا ملكًا جعلَ

منَ الهوايةِ جسرًا للتواصلِ

نكتبُ عنكَ اليومَ

برؤيةٍ نمنجُ فيها

ألوانَ الدخانِ

بألوانِ الياسمينِ

وصوتَ المحركِ

بزقزةٍ عصافيرِ جوهورٍ...

أنتَ الذي حوّلتَ

الرحلةَ الملكيةَ لملحمةٍ سنويةٍ

ينتظركَ فيها الناسُ

على جنباتِ الطريقِ

لا ليرؤا ملكًا

في موكبٍ مهيبٍ

بل ليرؤوا الملكَ إبراهيمَ

الصديقَ...

والأبَ...

والرفيقَ...

يكتملُ هنا نبضُ الحركةِ

في سطورِ الوفاءِ

بينَ صرامةِ الحكمِ

وانطلاقِ الروحِ

بينَ هيبةِ العرشِ

وحريةِ الطريقِ...

ليظلّ ملكٌ ماليزيا

صقراً في الجوّ

وأسدّاً في البرّ

وحبّاً يسكنُ

في كلّ منعطفٍ....

مِيزَانُ الْحَقِّ

على منصةِ الحقِّ

الميزانُ لا يميلُ

والكلمةُ فصلٌ

والعدلُ سبيلٌ...

أرى فيكَ الملكَ

فرأيتُ في ملامحك

صرامةَ النصوصِ

ورقةَ الروحِ...

رأيتُ في قراراتِكَ

روحَ القانونِ

التي لا تشيخُ...

لم تكن في عيني

مجردَ سلطانٍ على العرشِ

بل كنتَ رمزًا

في محرابِ العدالةِ

تدركُ أنَّ الحكمَ أمانةٌ

وأنَّ الظلمَ ظلماتٌ...

أفنيَتَ العمرَ

في وزنِ الحقيقةِ

تعلمُ أنَّ العظمةَ

ليست في التاجِ المرصَّعِ

بل في الضميرِ

الذي يسهرُ

حينَ تنامُ العيونُ...

رأيتُكَ في ماليزيا

تقضي بينَ الناسِ بالحقِّ

لا تفرِّقُ بينَ

قريبٍ وبعيدٍ

أو غنيٍّ وفقيرٍ

كأنَّكَ تستمدُّ حكمَكَ

من فيضِ عليٍّ

في عدالتِهِ...

ومن صرامةِ حمورابي

في مسلَّتِهِ...

لتصنعَ وطنًا

العدلُ فيه هو الهواءُ

والماءُ والنخيلُ...

ملكٌ لا يُظلمُ عندهُ أحدٌ

وإنَّ بابَهُ مفتوحٌ

لكلِّ ذي حقٍّ مستباحٍ...

ملكٌ سليلُ الأكرمينَ

تخرَّجَ من مدرسةِ القانونِ

تعلَّم أنَّ الدبلوماسيةَ

هي لسانُ العقلِ

وأنَّ القوةَ بلا عدلٍ

هي غابةٌ بلا قانونٍ...

فصار ميزانُهُ في جوهور

هو ميزاننا في دجلة والفرات...

رسمتُ عدلكَ بالكلماتِ

رأيتُ في ثباتِكَ

أمامَ الأزماتِ

ثباتَ القضاةِ...

وفي عفوكَ عندَ المقدرةِ

شيمَ الملوكِ العظماءِ...

بنيتَ في ماليزيا صرحًا

منَ النزاهةِ والوقارِ

وجعلتَ منَ القضاءِ

سياجًا يحمي الحقوقَ...

فكنتَ الحاكمَ

الذي يخشاهُ الظالمُ لقوتهِ

ويحبُّهُ المظلومُ

لرحمتهِ وعدلهِ الطويلِ...

يا ملكاً صارَ لعدلهِ

في الآفاقِ صدئاً...

نكتبُ عنكَ اليومَ

لنعلمَ الأجيالَ القادمةَ

أنَّ الملكَ يبقى

ما بقيَ العدلُ فيه قائماً

وأنَّ التاجَ يزولُ...

ويبقى العملُ الصالحُ

منارةً وهدى...

لأنَّكَ سلطانُ القلوبِ

وقاضي العدلِ

وفخرُ الزمانِ...

سُلْطَانُ الْوَفَاءِ

أتاني صوتهُ عبرَ المدى
يملاًُ الغربةَ بالأنسِ واليقينِ
صديقي الوفيُّ أحمدُ دَحَّامُ
ذاك الذي حملَ العراقَ
في قلبهِ ورحلَ
ليجدَ في ظِلِّكَ
يا ملكَ الملايو
وطنًا لا يضيقُ...
لم يكنِ يحدِّثُنِي
عن ملكٍ يسكنُ القصورَ

بل كَانَ يَحْدِثُنِي

عن إنسانٍ يسكنُ الضميرَ

وعن سلطانٍ

جعلَ منَ الوفاءِ دستورًا

ومنَ البساطةِ

تاجًا لا يزولُ...

قالَ لي أحمدُ

والصدقُ يقطرُ من حروفِهِ :

انظرَ إلى هذا الملكِ

كيفَ يواسي الغريبَ

بلمسةِ حنانٍ...؟

وكيفَ يبني البلادَ

بعقلِ الحكماءِ

وعزمِ الفرسانِ...؟

إنهُ الملكُ إبراهيمُ

الذي رأيناهُ

في المحنِ جبلاً

وفي الرخاءِ غيمةً

تنثرُ الخيرَ...

فأحببتهُ...

كما أحببتُ

دجلةَ والفراتَ

ورأيتُ في عدلهِ عودةً

لزمَنِ العظماءِ والأعيانِ...

سألتُهُ بلسانِ اليقين :

أهو حقًا كما تصفُ...؟

أم أنَّ الشوقَ

أضناكَ يا صديقي...؟

فأجابني بدمعةِ الوفاءِ :

والذي فطرَ السماواتِ

إنَّهُ أسمى ممَّا يكتبُ

الشعراءُ في الدواوينِ

إنَّهُ الملكُ الذي لا ينامُ

وشعبُهُ يشكو الأنينِ

وهو الصقرُ الذي

يحمي الحمى

من كيدِ العابثين...

حينذاك...

أمسكتُ ريشتي

بقلبِ الفنانِ

ونظمتُ أوتارَ الكلماتِ

لأكونَ الشاهدَ

على صدقِ الحرفِ...

يا صديقي أحمدُ...

يا رسولَ الوفاءِ...

بينَ القمطينِ

لقد كنتَ الجسرَ الذي

عبرتَ عليه كلماتي

والنور الذي أضاء لي

معالم هذا المعراج...

بفضلك... عرفتُ

أنَّ الملوكَ أصنافُ

وأنَّ الملكَ إبراهيمَ

صنفٌ نادرٌ في هذا الزمانِ

يجمعُ بينَ هيبةِ السيفِ

ورقةِ الياسمينِ

بينَ صرامةِ الحكمِ

ورحمةِ الأبِ الحنونِ...

فالوفاءُ لا يحتاجُ

إلى جوازِ سفرٍ

والحبُّ لا يعرفُ المسافاتِ

ولا يحدُّه القدرُ...

بينَ دجلةَ والفراتِ

حيثُ وُلِدَ الحرفُ الأوَّلُ

وشُرِّعتِ المسلاتُ

موازينَ العدلِ...

وبينَ جوهورَ وكوالالمبورَ

يزهرُ الياسمينُ

تحتَ ظلالِ التاجِ

الملكِيِّ المهيبِ

يكتملُ المعراجُ الأرجوانيُّ...

لم يكن مجردَ سيرةٍ

نظمتها القوافي

بل هو شهادةٌ شعريّ

أبصرَ العدلَ

في ملامحِ ملكٍ

ورؤيتهُ فنانٍ

تجسّدتْ لهُ المعاني

في صورةِ إنسانٍ...

وإنَّ المسافاتَ

تذوبُ أمامَ صدقِ المواقفِ

وهيبةُ العرشِ

لا تكتملُ

إلا برقةِ القلبِ

وتواضع الكبار...

إنَّ ما نقله لي صديقي

لم يكن مجرد أخبارٍ

بل كان نبضًا حيًّا

لواقعٍ لامستهُ رُوحِي

قبلَ عيني...

فرأيتُ في جلالَةِ

الملكِ إبراهيمِ إسكندرَ

تجسيدًا للقائدِ

الذي يجمعُ بينَ صرامةِ

البدلةِ العسكريةِ

وحكمةِ المنصةِ القانونيةِ

وبينَ عنفوانِ المغامرةِ

ورحمةِ الأبِ الحنونِ...

مِعْرَاجُ الْحُلُمِ

على بساطِ الرِّيحِ
وبينَ غيومِ الخيالِ
رسمتَ لي دربًا
لا يحدُّه محالٌ...
حلمي الذي يراودُ
ريشتي في كلِّ مساءٍ
أطوي بهِ المسافاتَ
وأعبرُ المحيطاتَ
لأحطَّ رحالي في أرضِ
الملايو الخضراءِ

حيثُ يَسمينُ جَوهورَ

يعانقُ السماءَ

وهيئةُ الملكِ إبراهيمَ

تمحو العناء...

أحلمُ أنْ أقفَ

بوقارِ القضاةِ

أمامَ عرشِكَ المهيبِ

ليس لأسألَ حاجةً

بل لأشهدَ بالحقِّ القريبِ...

أريدُ أنْ أصافحَ اليَدَ

التي رَوّضتْ صقورَ الجوِّ

والقلبَ الذي اتَّسعَ

لأوجاعِ الناسِ بكلِّ حنوٍّ...

أحلمُ أنْ أرى

في عينيكِ بريقَ

الملكِ إسكندرَ

وأنْ أقرأَ في ملامحكِ

فصولَ العزِّ والمناقبِ

لأخبركِ وجهًا لوجهٍ

بلسانِ دجلةَ والفراتِ

أنَّكَ صرتَ في العراقِ

أيقونةً للوفاءِ والثباتِ...

سأحملُ معي

في حقيبةِ الروحِ حبًّا

من شاعرٍ يزُنُ المحبةَ

بميزانِ الذهبِ

وكفنانٍ يرى

في سيرةِ الملوكِ

أرقى ملاحمِ الأدبِ...

يا ملكًا صارَ لقصائدي

شمسَ المستقبلِ...

حلمي أنْ أجلسَ

في محرابك وأتأملَ :

كيفَ يُدارُ

الوطنُ بالعقلِ...؟

وكيفَ يُبنى بالحبِّ...؟

وكيف يكونُ

السلطانُ أباً

يسكنُ في كلِّ درب...؟

سأرسمُ هناكَ

تحتَ فيءِ نخيلِكَ العاليِ

لوحةً سرّاليةً تخلّدُ

هذا اللقاءَ الخياليَّ...

تمتزجُ فيها ألوانُ العراقِ

بألوانِ الملايو

ليعلمَ العالمُ أنّ الوفاءَ

لا يحدُّه جغرافياً...

سأظلُّ أرسمُ

هذا الحلم بمداد الأمل
وأبني جسوره بالكلمات
وبالشوق الذي لا يملئ...
فمن كتب عنك
بصدق القاضي
وعين الفنان
لا بد أن يجمعه
القدر يوماً
بملك الزمان...
إلى ذلك الحين
سأظل أطوف في ديواني
كأنني في جوهر أسكن

أنتظر اللحظة التي

تكتمل فيها الفصولُ

بمصافحةٍ كفّ الملكِ

لتكونَ البدايةَ والنهايةَ...

مَدَارَاتُ الضَّوِّ

في عينيك يورقُ

فجرُ ماليزيا الجديدُ

وترسمُ الرؤيةَ

ليسَ بالحبرِ

بل بالتطورِ والنورِ...

لم يكن حكمكُ

مجردَ جلوسٍ على العرشِ

بل كانَ انطلاقةً

نحوِ مجراتِ العصرِ...

تزرعُ في كلِّ شبرٍ

من الأرض فكرة
وتجعل من الذكاء
صولجاناً يحمي الوطن...
رأيت في التكنولوجيا
لغة للسيادة
وفي التطور
محراباً للعبادة...
فطوّعت المعالج
كما طوّعت السيف
ليكون خادماً لشعبك...
بصيرة الملك
ليست في رصد الخرائط

بل في استباقِ الزمنِ

بقلبِ جسورٍ...

أردتَ لماليزيا أن تكونَ

لوحةً رقميةً

تتداخلُ فيها خيوطُ التقاليدِ

بأسلاكِ النورِ

ويُعزفُ فيها

لحنُ المختبراتِ...

علَّمتنا أنَّ الأصالةَ

لا تخشى الحداثةَ

وأنَّ الجذورَ تزددُ رسوخًا

حينَ تعانقُ السحابَ...

فبنيت المدن الذكية

بروح السلاطين

وجعلت من كوالالمبور

قلب الشرق النابض...

ملك يرى ما لا يراه الآخرون

يني للمستقبل جسورًا

من المعرفة واليقين

ويجعل من اسم ماليزيا

رقمًا صعبًا في المحافل...

يدرك أن البقاء

للأذكي...

والأقوى...

والأكثر وفاءً...

رؤية الملك إبراهيم

أن يظلّ الفلاح في حقله

لكنّه يمسكُ بالعالمِ

من خلال شاشةٍ صغيرة...

وأن يظلّ القاضي في محرابه

يحكمُ بنزاهةٍ

تعزّزها ثورةُ العقول...

يا ملكاً يطرّزُ المستقبلَ

بخيوطِ الذهبِ والبرمجياتِ

نرى في رؤيتك سرياليةً

من نوعٍ فريدٍ...

حيثُ يتجاوزُ

المسجدُ العتيقُ

معَ برجِ التطورِ

ويتصافحُ التاريخُ

معَ الغدِ في كفيكَ...

لم تكنِ الرؤيةُ وعودًا

تُنشرُ في الصحفِ

بل كانت واقعا ملموسًا

في رقيِّ الخدماتِ

وفي فخرِ الشبابِ الماليزيِّ

بهُويتهِ العصريةِ

وهو يقودُ دفَّةَ التغييرِ

تحت رايته الملكية...

نكتب عن رؤيتك اليوم

ونحن في العراق

نرقب هذا المعراج التكنولوجي

بإعجاب وتقدير

ونتعلم منك

كيف تكون الحداثة

خادمة للإنسان...؟

وكيف يظل الملك

هو الضامن

لهذا التوازن الدقيق...؟

لقد جعلت من ماليزيا

قصيدةً تقنيةً

تُقرأُ بكلِّ اللغاتِ

وتُفهمُ بكلِّ العقولِ...

لتظَلَّ رؤيةُ

الملكِ إبراهيمِ إسكندرَ

هي البوصلةُ

التي تهدي السفينةَ

نحوِ مرافئِ الخلودِ....

مَجَرَاتُ الرُّؤْيَا

في سكونِ الليلِ
حينَ يغمضُ العالمُ عينيه
تستيقظُ في قلبِ الملكِ
أحلامٌ لا تنامُ...
لم تكن أحلامك
يا سليلَ الأكرمينَ
مجردَ أمنياتٍ
بل كانت خرائطَ
لِزمنٍ آتٍ بمدادِ النورِ
وقصائدَ منْ عزٍّ

تبنيها السواعدُ لا الكلماتُ...

حلمتُ أنْ ترى ماليزيا

شاحنةً في وجنةِ الكونِ

منارةً للعلم...

وملاذاً للحقّ...

وواحةً للقانون...

تتسبّقُ فيها العقولُ

كما تتسابقُ الخيولُ

في الميادين...

وُشرقُ من بينِ نخيلها

شمسُ السيادة...

حلمتُ أن يكونَ الجسرُ

الذي يربطُ القلوبَ

أقوى من الفولاذِ

وأبقى من مرورِ الخطوبِ...

رأيتَ في منامِكَ جوهورَ

وهي تصافحُ النجومَ

وكوالالمبورَ وهي

تغسلُ وجهَهَا

من غبارِ الهمومِ...

بثورةٍ تقنيةٍ تجعلُ

منَ الملايو رقماً صعباً

ومن شبابِها صقوراً تحلقُ

في سماءِ الإبداعِ طرباً...

لم يكن حلمك قصراً

يُشَيِّدُ من ذهبٍ

بل كان بيتاً لكلِّ فقيرٍ

يجدُ فيه الأمانَ والطلبَ...

وعدلاً يسري

في العروقِ كجريانِ الأنهرِ

وصوتاً للحقِّ يجلجلُ

في المشرقِ والمغربِ...

ألقُ الحلمَ في عينيكِ

ملكٌ يحلمُ لشعبه

بما لا يحلمُ به المرءُ لنفسه...

يُريدُ أن يسبقَ العصرَ

وَأَنْ يَزْرَعَ فِي كُلِّ بَيْتٍ

شَجَرَةً أَمَلٍ...

وَأَنْ يَجْعَلَ مِنْ مَالِيزِيَا

عَلَامَةً لِلجُودَةِ

وَالِإِخْلَاصِ وَالْعَمَلِ...

فَمَنْ عَانَقَ السَّحَابَ

فِي قَفْزَاتِ الْمَظْلِيِّينَ

وَمَنْ دَرَسَ فِي قَاعَاتِ الْقَانُونِ

مَعَ الْمَفْكَرِينَ...

لَا يَرْضَى بغيرِ الْقِمَةِ

مَكَانًا لِأَحْلَامِهِ

وَلَا يَقْبَلُ لغيرِ الْإِعْجَازِ

أن يكونَ عنوانًا لأيامِهِ...

أحلامُكَ أيُّها الملكُ

هي سرِّياليةُ الإنجازِ

والمستحيلُ كلمةٌ

حذفتها من قاموسِكَ بامتيازٍ...

تحلُمُ بوطنٍ لا ينامُ فيه جائعٌ

ولا يُظلمُ فيه إنسانٌ

وبستقبلٍ يُكتبُ

بماءِ الذهبِ

لا بمدادِ الحاضرِ والماضي...

نرى أحلامَكَ

ونرسمُها في شعرِنا

كأَنَّهَا أَزْهَارُ يَاسْمِينٍ

تَفُوحُ فِي بَسْتَانِنَا...

وَنَعْلَمُ أَنَّ الْمَلِكَ

إِبْرَاهِيمَ إِسْكَندَرَ

إِذَا حَلَمَ... أَنْجَزَ

وَإِذَا وَعَدَ... أَوْفَى

وَإِذَا قَادَ... أَعْجَزَ...

يَكْتَمِلُ هُنَا مَعْرَاجُ الْحَلَمِ

فِي صَفْحَاتِ الْوَفَاءِ...

لِيَعْرِفَ الْعَالَمُ

أَنَّ الْمُلُوكَ الْعِظَامَ

هُم صَنَائِعُ الضِّيَاءِ

وَأَنَّ أَحْلَامَ الْمَلِكِ إِبْرَاهِيمَ

هِيَ الْبُوصْلَةُ وَالنَّشِيدُ

نَحْوِ فَجْرِ مَالِيزِيٍّ

يُولَدُ فِي كُلِّ يَوْمٍ

مِنْ جَدِيدٍ....

اشراقه التاج

باسم الحق الذي أرسى

موازين العدل في الأرض

وباسم الجمال

الذي صاغ الروح

من طين ونور...

أفتح أبواب قصيدي

وأشرع نوافذ قلبي

نحو جواهر التي أنجبت صقراً

ونحو ماليزيا التي تُوجت فخراً...

ملك سكن في نبض الحروف

قبل أن تراه العيونُ

في القصورِ والصفوفِ...

أتيتُك من بلادِ الرافدينِ

محملاً بعطرِ النخيلِ

لأخطأَ بيمينِي معراجاً

منَ الأرجوانِ

يليقُ بمقامِكَ العالِي...

يا سلطانَ الزمانِ...

يا ابنَ الملكِ إسكندرَ...

يا وريثَ المجدِ والوقارِ...

يا من جعلتَ

منَ العدلِ شمساً

لا تعرفُ المغيبَ

ومنَ القانونِ سيفًا

يحمي القريبَ والغريبَ...

رأيتُك لحناً فريداً

يجمعُ بينَ هيبَةِ القائدِ

ورقةِ النشيدِ

فأنا فنانٌ يرسمُكَ

في كلِّ حينٍ

بالقصائدِ التي ليستُ

حبراً على ورقٍ

بل زفراً شوقٍ

وصيحاتُ قلبٍ...

كتبْتُكَ بقلبٍ عراقيٍّ

لا يعرفُ المحالَ

ليصلَ صوتي إليكَ

عبرَ البحارِ والجبالِ...

في بدءِ هذا الحرفِ

نُحيِّي فيكَ الروحَ

ونبصرُ فيكَ الإنسانَ

قبلَ أن نبصرَ الوطنَ...

أنتَ الذي جعلتَ

منَ العرشِ محرابًا للعطاءِ

ومنَ التاجِ تكليفًا

لا تشريفًا...

فليفتح العالمُ أجمعُ

صفحاتِ هذا الديوانِ

ليقرأ قصةَ ملكٍ

صاغَ المستحيلَ امتناناً

وليعلمَ الجميعُ أنَّكَ

أنتَ المبتدأُ

في كتابِ العزِّ

وأنتَ الخبرُ

الذي لا يُحذفُ

من ذاكرةِ الزمنِ...

وأنتَ الضياءُ الذي

يبَدُّ في ليلنا الكدرِ...

يا من إذا مررت في الحلم

اخضرتِ المدنُ

واستيقظتِ المرافئُ

وكأنَّ البحرَ نفسهُ

يقومُ لهيبتكِ...

يا جوهرَ الدولةِ

حينَ تتجلى

ويا ظلَّ الحكمةِ

حينَ يمتدُّ

على خرائطِ الشرقِ...

نمشي إليك بحروفنا

كأنَّها قوافلُ نورٍ

من بلادٍ بعيدةٍ
تحمِلُ على أكتافِها
دعاءَ الفقراءِ
وابتسامةَ البسطاءِ
وحلمَ الأطفالِ
الذينَ لم يعرفوا بعدُ
معنى المستحيل...
فيكَ يلتقي
الصمتُ بالكلامِ
وتتلاقى المهابةُ بالبساطةِ
ليبدو العرشُ
كأنَّهُ مقعدُ قلبٍ كبيرٍ

يستقبلُ العالمَ دونَ

حواجزَ أو أسوارٍ...

يا ملكاً إذا ذُكِرَ العدلُ

ذُكِرَ معه

وإذا ذُكِرَ المجدُ

كنتَ أولَ سطورِهِ...

نكتبُ لك

ليسَ لأنَّكَ حاكمٌ

بل لأنَّكَ

حكايةُ وطنٍ...

ضياءُ العرشِ

على الصهوة

يطوي المدى

يمزّق صمتَ الحقولِ

بزئيرِ المحركاتِ

ليسَ ملكاً يَمُرُّ

بل كطيفٍ خلفَ الزجاجِ

هو الملكُ إبراهيمُ...

يسابقُ الريحَ

ليسبقَ الفجرَ إلى شعبه

كلُّ دورةٍ محركِ

هي نبضة قلبٍ للوطنِ

وكلُّ طريقٍ يسلكُهُ

هو شريانٌ يربطُ

القصرَ بالكوخِ...

بينَ يديه المقودُ

ميزانُ عدلٍ

يسيرُ وعيناهُ

ترصدانِ أحلامَ الكادحينِ...

المسافاتُ لا تُتعبُ فارسًا

ولا الطرقاتُ تضيقُ

بملكٍ يمضي...

الإسفلتُ تحتَ عجلاته

يكتبُ سيرةَ وطنٍ جديدٍ

والريحُ صارتُ

جندياً في موكبه

تفتحُ له أبوابَ الأفقِ

واحدًا تلو الآخرِ...

في كلِّ منعطفٍ

تولدُ مدينةٌ من الضوءِ

وفي كلِّ صعودٍ

ينهضُ حلمٌ كانَ نائماً

في صدورِ الناسِ...

يا لهذا الطريقِ...!

كيفَ يتحولُ

من خطّ على الأرضِ
إلى خطّ في ذاكرةِ أمةٍ...؟
وكيف يصبحُ
هديرُ المحركاتِ
نشيدًا يُتلى
على شفاهِ المسافاتِ...؟
هو لا يعبرُ الأرضَ وحدهُ
بل تعبرُ معه
قلوبُ الذينَ ينتظرونَ
في القرى البعيدةِ
وفي المدنِ التي تتكئُ
على أملٍ قديمٍ...

كلُّ نافذةٍ يمرُّ بها
تتفتحُ كعينِ طفلٍ
رأى الحلمَ للمرة الأولى
وكلُّ ظلٍّ خلفه
تحولُ إلى وعدٍ بالمزيد...
يمضي الملكُ إبراهيمُ
لا ليُرى بل ليُجعلَ
الرؤيةَ أوضحَ...
لا ليُسمعَ صوتهُ
بل ليُسمعَ صدى الوطنِ
في صوتهِ...
كأنَّ المقودَ بينَ يديه

قلمٌ يكتبُ بهِ تاريخَ العبورِ

والطريقَ أمامَهُ

دفتُرُ أجيالٍ تُعيدُ

صياغةَ البداية...

لا شيءَ يوقفُ

هذا الضياءَ

ضياءُ العرشِ...

حينَ يصبحُ حركةً

وتتحولُ السلطةُ

إلى سفرٍ بينَ الناسِ

ليسَ بينَ الجدرانِ...

يمرُّ فيغدو المرورُ حدثاً

وبمضي فيصيرُ

المضيُّ معيَّ...

يتركُ خلفه

أرضاً أكثرَ يقيناً

وأفقاً أكثرَ اتساعاً...

حتى الغيمُ

حينَ يراهُ

يُخفضُ سرعتهُ

وتُصغي لهُ الأشجارُ

وهي ترتجفُ خضرةً...

وفي آخرِ الطريقِ

ليستَ هناكُ نهايةُ

بل بدايةً أخرى...

تنتظر مَنْ يُعيدُ

تشغيلَ الحلم...

وهكذا يبقى الصوتُ

صوتُ المحركاتِ

حينَ تلتقي بالقدرِ

وصوتُ وطنٍ

يسيرُ على عجلاتِ نهضتهِ

نحو فجرٍ دائمٍ...

إِسْرَاءُ النَّسْرِ

يَتْرُكُ الْأَرْضَ

لِجَاذِبَةِ الْعَادِيِّنَ

وَيَصْعَدُ نَحْوَ السَّحَابِ

حَيْثُ تَسْكُنُ النَّسُورُ...

يَقُودُ الْبَرْقَ بِيَمِينِهِ

وَيَجْعَلُ مِنْ قَمَرَةِ الْقِيَادَةِ

مَحْرَابًا لِلتَّأْمَلِ

حَيْثُ لَا حُدُودَ إِلَّا الْأَفْقُ...

يَرَى مَالِيزِيَا لَوْحَةً سَرِيالِيَّةً

مِنْ خُضْرَةٍ وَمَاءٍ

كأَنَّهَا خَرَجَتْ

مِنْ قَلْبِ الْأَسْطُورَةِ

لَيْسَ مِنْ خَرَائِطِ الْجُغْرَافِيَا...

وَكَأَنَّ الْجِبَالَ فِيهَا

تُصَلِّي قِيَامًا

وَالْأَنْهَارَ تَكْتُبُ سِيرَتَهَا

عَلَى خَدِّ الزَّمَنِ...

يَرَى شَمُولِيَّةَ الْحَقِّ

فَالَّذِي يُحَلِّقُ الرِّيحَ

فَوْقَ الْغَمَامِ

يَعْرِفُ كَيْفَ

يَرُوضُ الْعَوَاصِفَ

حينَ تهبُّ على الديارِ...؟

جناحُ طائرتهِ ظلُّ

يمتدُّ فوقَ جوهورٍ...

الظلُّ هنا

ليسَ غيابًا للضوءِ

بل امتدادٌ لحضورٍ

يُراقبُ التفاصيلَ الصغيرةَ...

حيثُ البيوتُ

تبدو كأنَّها حروفٌ

في كتابٍ مفتوحٍ

والنخيلُ علاماتُ ترقيمٍ

تحفظُ إيقاعَ المكانِ...

قلْبُهُ فِي السَّمَاءِ
وَعَيْنَاهُ تَحْرَسَانِ التَّرَابَ
بَيْنَمَا الْأَرْضُ تَحْتَهُ
لَا تُرَى كَمَسَافَةٍ
بَلْ كَأَمَانَةٍ تُقْرَأُ
مَنْ عَلَوْ بِصَمْتٍ مَهِيْبٍ...
وَهَنَّاكَ... فِي أَعْلَى
نَقْطَةٍ مِنَ الْمَدَارِ
تَحُولُ الصَّمْتُ
إِلَى مَعْنَى
وَالرَّيْحُ إِلَى رِسَالَةٍ
وَالضُّوْءُ إِلَى عَهْدٍ

لا يُكتب بالحرِّ

بل يُنقشُ

في ذاكرة الطيران...

يمرُّ فوق الغاباتِ المطيرةِ

كأنَّها بحرٌ أخضرٌ لا ينتهي

وفوق الجزرِ التي تتناثرُ

كحباتِ لؤلؤٍ نُثرتْ

من يدِ الخالقِ...

ويرى في تنوعِ الأرضِ

تنوعَ الأرواحِ

وفي اختلافِ الألوانِ

وحدةَ المصيرِ...

يا من يعلو ولا ينفصلُ

يا من يرى الأرضَ

من علوٍّ فلا يبتعدُ

بل يقتربُ أكثرَ

من وجعِها وبهائِها...

كأنَّ السماءَ

ليست مكاناً للهربِ

بل مرآةً لرؤيةِ الحقيقةِ...

هناك...

حيثُ الهواءُ أصفى

والرؤيةُ أوسعُ

والحدودُ تتلاشى

كما تتلاشى الأوهام

يولد معنىً جديدٌ للقيادة...

ليس في السيطرة

بل في الإصغاء العميق

لنبض البلاد...

في كلِّ دورة محرك

تولد نبضةً جديدةً للوطن

وفي كلِّ ارتفاع

تُكتبُ سيرة

حارسٍ لا ينام...

لأنَّ عينه إن أغضتْ

استيقظت في قلبه

ألفُ يقْطِةٌ...

يمضي فوقَ السحابِ

كأنَّه سؤالٌ لا ينتهي

وكأنَّ السماءَ نفسَها تتساءلُ

من هذا الذي يجعلُ

منَ العلوِّ قريبًا

ومنَ المسافةِ وعدًا

ومنَ الطيرانِ قوةً...؟

جناحُه لا يחדشُ الهواءَ

بلْ يعزفُ عليه

لحنَ السيادةِ...

والمدنُ تحتهُ

ليست نقاطاً

على الخريطة

بل ذاكرةُ شعبٍ

يُعادُ قراءُها من الأعلى...

في جوهورَ حينَ يمرُّ

الظلُّ الأخيرُ لطائرته

تتنفسُ الأرضُ

كأنَّها تعرفُهُ

وتبتسمُ الغاباتُ

كأنَّها تراهُ ابنها العائدَ

لا غريباً يمرُّ فوقها...

ثمَّ يعودُ

ليسَ كمنَ نزلَ

منَ السماءِ...

بلَ كمنَ حملَ السماءَ

معَهُ إلى الأرضِ...

فصارَ بينَ الاثنينِ

جسراً منَ ضوءٍ

لا يراهُ إلا مَنْ

يعرفُ أنَّ الوطنَ

ليسَ مكاناً فقط

بلَ رؤيا تُخلقُ...

وَتَبَةُ الْأَصَالَةِ

صَخْبُ الْمَعْدَنِ يَعُودُ

إِلَى نَبْضِ الْجَذُورِ

الْخَيْلُ لَعْنَةُ الْفَرَسَانِ الْأُولَى...

الْمَلِكُ إِبْرَاهِيمُ إِسْكَندَرُ

الَّذِي كَبُرَ بَيْنَ السَّنَابِلِ

يَرْكَبُ الْغَيْمَ الْمَسْرُوجَ

بِجِلْدِ الْوَفَاءِ

وَيَضْرِبُ الْأَرْضَ

لِيُعِيدَ تَشْكِيلَ التَّارِيخِ...

فَرُوسِيَّةُ الْمَلِكِ إِبْرَاهِيمَ

ليست في استعراضِ الرتبِ

بل في خُلقِ الفارسِ

الذي ينحني للضعيفِ

ويثورُ كالبركانِ

في وجهِ الضلالِ...

بينهُ وبينَ الخيلِ

ميثاقُ سرِّ

أَنَّ القمّةَ لمنْ صمدَ

وَأَنَّ العزّةَ لمنْ

ترفعَ عنِ الصغائرِ...

سبرُ الأعماقِ والبحرِ

حينَ يغوصُ في زرقَةِ المحيطِ

يترك وراءه صخب الدنيا

ليتنفس هدوء الحقيقة...

الملك الذي لا يخشى الموج

يعرف أن الآلي

تسكن في الأعماق

ليست على الشواطئ...

قائد السفينة

الذي لا تغر

الرياح العاتية

يغوص في بحر المسؤولية

بقلب غواص خبير

يستخرج الحل

من قعرِ التحدي

ويجعلُ منَ الملحِ

طعمًا للانتصارِ...

البحرُ عندَ الملكِ إبراهيمَ

مدرسةُ الصبرِ

والغوصُ هو

رحلةُ القاضي

في جوهرِ القضايا...

عجبًا لهذا التاجِ...!

كيفَ لم يمنع صاحبهُ

منَ الوقوفِ أمامَ

موقدِ النارِ...؟

يمسكُ الملعقةَ

بذاتِ القوةِ التي يمسكُ

بها الصولجانَ

يطبخُ لشعبه

يسكبُ حَبَّةَ

في أواني الكرام...

هذهِ الهوايةُ هي

العدلُ الصامتُ

أن يشبعَ الجائعُ

من يدِ الحاكمِ

وأن يدركَ الناسُ

أنَّ ملكهم رقيقُ

ملحهم وزادهم...

هنا تذوب الفوارقُ

وتتجلى العظمةُ

فالحاكمُ الذي يُطعمُ

الناسَ بقلبه

يستحيلُ أنْ يظلمهم...

جمعتَ أطرافَ المجدِ

منَ الأرضِ والجوِّ والبحرِ

نبضةُ محركٍ

وخفقةُ جناحٍ

وصهيلُ خيلٍ

ونكهةُ وفاءٍ...

لَكَ منا سلامُ الرافدينِ

يا من جعلتَ

من حياتِكَ قصيدةً متحركةً

ومن ملكِكَ ورشةً

للجمالِ والإنسانِ...

في الدراسةِ العسكريةِ

لم يذهب كسلطانٍ

يطلبُ الزينةَ...

بل كمحاربٍ ينحِتُ

في الصخرِ معناه...

تعلّم أنَّ التاجَ ثقيلٌ

لا يحمله إلا عنقٌ

اعتاد الانضباطَ

وأنَّ القيادةَ ليستَ رتبةً

تُوضعُ على الكتفِ

بل هي روحٌ تتقدمُ الصفوفَ...

في هجيرِ الميدانِ

تشربَ عبقَ العسكريةِ

فصارَ مشيهُ قانوناً

وصمتهُ هيئةً

وقبضتهُ نحوَ المجدِ يقيناً...

في مدرسةِ الإرادةِ

عبرَ المحيطَ

إلى رمالٍ تختبرُ

معدن الرجاء

بين صرخات المشاة

وعرق التدريب الشاق

كان الملك إبراهيم

يروض المستحيل...

لم تكن الأجنحة التي نالها

مجرد رمز للمظليين

بل إعلاناً بأن

هذا الملك لا يخشى السقوط

لأنه تعلم كيف

يخلق في قلب العاصفة...

صار الكوماندور

جزءًا من تكوينه

يرى في التحدي فرصة

وفي الصعوبات

طريقًا للنصر...

خلع الخوذة ليلبس

عباءة الحكمة

وبصيرة السياسي الخبير

بين أداريج قانون البحر

ودهاليز العلاقات الدولية

كان الملك إبراهيم

يرسم لماليزيا

خارطة الحضور...

تعلّم أنّ العالم لا يُدارُ

بالقوة وحدها

بل بالكلمة التي

تزُنُ الجبالَ

وبالدبلوماسية التي تفتحُ

القلوبَ المقفلةَ

فصارَ قاضيًا

في محرابِ السياسةِ

يحمي السيادةَ

بذكاءِ الفيلسوفِ

وقوةِ المحاربِ...

العلم والتَّاجُ

عجباً لهذا المزيجِ النادرِ...!

كيفَ اجتمعَ

في رأسٍ ملكٍ واحدٍ

كلُّ هذا الاتساعِ...؟

وكأنَّ العقولَ حينَ تتكاملُ فيه

لا تتزاحمُ بل تتناغمُ...

وكأنَّ المعرفةَ حينَ تدخلُ

إلى حضرتِه لا تُستأذَنُ

بل تُكرمُ وتُرفعُ

إلى مقامِها الأعلى...

إِنَّ جَلَالَۃَ السُّلْطَانِ

لَا يَحْكُمُ بِالْوَرَاثَةِ فَحَسَبُ

بَلْ يَحْكُمُ بِسَبْعِ لُغَاتٍ

مَنْ الْعِلْمِ وَالْخَبَرَةِ

لُغَاتٍ لَا تُكْتَبُ

عَلَى الْوَرَقِ فَقَطُ

بَلْ تُقْرَأُ

فِي تَفَاصِيلِ الْقَرَارِ

وَدَقَّةِ الْمِيزَانِ

وِإِنْصَافِ الْمَوْقِفِ

وَفِي رُؤْيَا تَرَى الْمُسْتَقْبَلَ...

شَهَادَتُهُ الْكُبْرَى

ليست ورقًا

يُعلقُ على الجدرانِ

بل هي ماليزيا

التي نراها اليومَ...

دولةٌ تنهضُ

من بينِ تنوعِها

كما تنهضُ الفكرةُ

من بينِ الصبرِ...

دولةٌ يحميها

جيشٌ يراهُ قدوةً

في الانضباطِ

ويديرُها عقلٌ

يراهُ العالمُ مرجعًا

في الإنصافِ

ويسكنُها شعبٌ

وجدَ في قيادتهِ معنى

أنْ تكونَ الدولةُ

بيتًا لا ساحةَ صراعٍ...

يا صاحبَ السمِّو المعرفي

شهادتُكَ ليستْ

زينةً منصبٍ

ولا بريقَ لقبٍ

بل جناحانِ

يرفعانِ تاجكُ

فوقَ حدودِ الزمانِ...

إحداهما تحمي الحقَّ

منَ الضياعِ

والأخرى تبني العمرانَ

على أساسٍ من عدلٍ

لا يتصدعُ...

نُسجلُ هذا المعراجَ

ليسَ بوصفهِ خطابٍ

مدحٍ عابرٍ

بل بوصفهِ درسًا

في معنى القيادةِ

حينَ تصيرُ فكرًا

قبل أن تكونَ سلطةً...

ويصيرُ القصرُ

امتدادًا لقاعةِ

درسٍ طويلةٍ

ويصيرُ الكرسيُّ

تكليفًا لا تشريفًا

ومسؤوليةً لا امتيازًا...

ليعرفَ العالمُ

أنَّ الملكَ العظيمَ

هو الذي جلسَ

على مقاعدِ الدرسِ طويلاً

حتى صارَ الدرسُ

في يديه دولة

وصار العلم

في رؤيته نظاماً

وصار الفهم

في قراراته نهجاً لا يحيد...

الوطن عنده

ليس مجرد حدود تُرسم

على خرائط الجغرافيا

بل هو فسيفساء

من أرواح ومذاهب ولغات

تتجاوز فيه القلوب

كما تتجاوز الألوان

في لوحةٍ واحدةٍ
لا تُلغي بعضها
بل تُكملُ بهاءها...
يرى في التنوع
قوةً لا شتاتاً
وفي الاختلافِ
لحناً يُعزفُ
سيمفونيةَ البقاءِ
وفي التعددِ معنى
أنْ تكونَ الأمةُ أوسعَ
من فكرةٍ واحدةٍ
وأعمقَ من تعريفٍ واحدٍ

وأكبرَ منْ حدودِ

ورؤيةٍ ضيقةٍ...

فكرُهُ لا يعرفُ الانغلاقَ

بل يفتحُ النوافذَ للشمسِ

ويجعلُ منَ الهواءِ فكرةً

ومنَ الفكرةِ مشروعَ حياةٍ

ومنَ الحياةِ مسارًا لا يتوقفُ...

يؤمنُ أنَّ التسامحَ

ليسَ شعارًا

يُرفعُ في المحافلِ

بل ميزانُ قاضٍ عادلٍ

يُعطي كلَّ ذي حقٍّ حَقَّهُ

دُونَ نقصانٍ...

ويُحوّلُ التباينَ

إلى نظامٍ توازنٍ

ليس إلى صراعٍ

يُنْهَكُ الوجودَ...

وفي ظلِّ هذا الفهمِ

تصيرُ ماليزيا وطنًا كبيرًا

ليسَ لأنَّها واسعةُ الجغرافيا

بل لأنَّها واسعةُ المعنى...

تتسعُ للجميعِ دونَ

أنْ تضيقَ بأحدٍ

وتحمي الجميعَ دونَ

أَنْ تُفَرِّقَ بَيْنَ أَحَدٍ
وَتَمْنَحُ كُلَّ مَكُونٍ حَقَّهُ
فِي أَنْ يَكُونَ جِزْءًا
مَنْ الْحِكَايَةِ...
يَا مَنْ تَرَى الْقِيَادَةَ
بَعَيْنِ الْفِكْرِ
وَتَقْرَأُ الدَّوْلَةَ
بَعَيْنِ الْإِنْسَانِ...
حُضُورُكَ مَعْنَى
يَتَجَاوَزُ الْبُرُوتُوكُولَ
وَيَمْتَدُّ إِلَى جَوْهَرِ الْفِكْرِ
الَّتِي تُبْنَى بِهَا الْأُمَمُ...

وَأَنَّ الْعَدْلَ إِذَا اسْتَقَرَّ

فِي الْقِمَةِ انْعَكَسَ نُورُهُ

عَلَى الْقَاعِدَةِ

وَأَنَّ الْحِكْمَةَ

إِذَا سَكَنَتْ رَأْسَ الْمَهْرَمِ

اسْتَقَامَتْ مَعَهَا كُلُّ الْأَرْكَانِ...

وَهَكَذَا يَبْقَى

هَذَا الْمَعْرَاجُ شَاهِدًا

لَيْسَ عَلَى مَلِكٍ

بَلْ عَلَى فِكْرَةٍ

تُثَبِّتُ أَنَّ الْحَكَمَ

يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عِلْمًا

وَأَنَّ السُّلْطَةَ يُمْكِنُ

أَنْ تَكُونَ رَحْمَةً

وَأَنَّ الْوَطَنَ

يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ

مَشْرُوعَ إِنْسَانٍ

قَبْلَ أَنْ يَكُونَ

مَشْرُوعَ دَوْلَةٍ...

استباقُ الزَّمنِ

لا ينظرُ جلالَةُ الملكِ إبراهيمَ
إلى الساعةِ ليعرفَ الوقتَ...
بل لينظرَ كم سبقتنا الأممُ...!
نحو الذكاءِ والابتكارِ
فكرُهُ التكنولوجيُّ ليسَ ترفاً
بل هو سلاحٌ نحو الرفاهِ
وهو بصيرةُ الدولةِ
في عصرِ الضوءِ والبياناتِ...
يريدُ أن تكونَ جوهراً
مدينةً ذكيةً تسابقُ الريحَ...

ويريدُ لشعبه أن يمتطي

صهوةَ الرقمنةِ

بوعي الحكيم...

فكره يرى المستقبلَ

في قلبِ الحاضرِ

ويُحولُ الواقعَ

إلى نظامٍ بديعٍ

منَ التطور...

بينَ أداريجِ

السياسةِ المعقدةِ

يبرقُ فكرُ الملكِ

بمبدأٍ واحدٍ لا يتزعزُعُ

كرامة الإنسان...

يؤمن أن الاقتصاد

الذي لا يُطعم الجائع

هو أرقام ميتة

وأن النهضة التي

لا تمسح دمة اليتيم

هي نهضة عرجاء...

فكره ينحاز دائماً

نحو الميدان

بعيداً عن المكاتب الصماء

والتقارير المزوقة...

فكره يؤمن

بالعدالة الناجزة
التي تصل إلى الناس
قبل أن يطلبوها
والتي تحمي كرامة العامل
كما تحمي هيبة العرش...
فلسفة القرار...
في فكر الملك إبراهيم
السيادة هي بوصلة النور
لا يرهق قرار الوطن
لمزاج العواصف
بل يقود السفينة
ببصيرة القبان

وصلاية المحارب...

يؤمنُ أنَّ قوةَ ماليزيا

في استقلالِ رأيها

وفي قدرتها

على أن تكونَ جسراً

بينَ الشرقِ والغربِ

دونَ أن تفقدَ

لمسةَ الملايو

أو عراقةَ الإسلام...

فكرُهُ يبني ويؤمنُ

أنَّ الدبلوماسيةَ

هي فنُّ تحويلِ

الخصوم إلى شركاء

تحت مظلة

الاحترام المتبادل

والمصالح العليا...

يرى جلالته أنَّ المدرسة

هي مصنع

الملوك الحقيقيين

وأنَّ الاستثمار

في عقل الشباب

هو الادخار الذي لا يبور...

فكره يُطالب بتعليم

يُحرر الإرادة

وَيَصْنَعُ جَيْلًا
يَحْمِلُ الْحَاسِبَ فِي يَدِ
وَالْقُرْآنَ فِي قَلْبِ
جَيْلًا يَفْتَخِرُ بِمَاضِيهِ
وَلَا يَرْهَبُ مُسْتَقْبَلَهُ...
هَذَا هُوَ الْمَعْرَاجُ الْمَعْرِفِيُّ
الَّذِي رَسَمَهُ
فِي تَاجِ الشَّرْقِ
أَنْ يَكُونَ الْعِلْمُ
هُوَ الْقَائِدَ الْفَعْلِيَّ
لِقَاطَرَةِ الْأُمَةِ...

تاجُ الشرقِ

يا صاحبَ الفكرِ...

إنَّكَ لا تحكُمُ

بالتاجِ فحسبِ

بل تحكُمُ بالرؤيا

والرؤيا عندَ الملوكِ

هي قدرُ الشعوبِ...

إشراقاتُ فكريةٍ

تبقى منارةً للأجيالِ

تُخبرُهُم أنَّ الملكَ العظيمَ

هو الذي يزرعُ فكرةً

في الوجدانِ

فتنبتُ وطنًا

يعانقُ السحابَ...

عندَ حافةِ الورقِ

والأفقِ الأخيرِ

تكتملُ الدائرةُ

التي رسمناها بحبرِ

الوفاءِ والمعنى...

بدأنا منْ نخلةٍ

في العراقِ

ومددنا الجسورَ

بينَ الروحِ والمسافةِ

حتى استظللنا بتاجٍ

لا يُحكّم بالقوة

بل يُحكّم بالحبِّ واليقين...

يا صاحبَ الجلالة...

الملكُ إبراهيمُ الذي فينا

لم تكن في الشعرِ

مجردَ سردٍ للقوافي

بل كنتَ محاكاةً للجمالِ

وانتصاراً للروح

وشهادةً منَ الحروفِ

ورؤيةً منَ فنانٍ

ونبضاً منَ شاعرٍ...

أنتَ الملكُ الذي

استعادَ للشرقِ

هيبتَهُ الضائعةَ

ليسَ بالخطابِ وحدَهُ

بلْ بالفعلِ الذي

يُعيدُ للمعنى مكانَهُ...

وها نحنُ اليومَ

عندَ آخرِ الحرفِ

وأولِ المعنى

ندركُ أنَّ ما بدأناه

لم يكنْ نصًّا

بل رحلةً وعيٍ صاعدةً

من جذورِ الرافدينِ

إلى امتدادِ الضوءِ

في الملايو...

ومن نبضِ الأرضِ

إلى أفقِ الفكرةِ

حتى صارَ التاجُ

ليسَ رمزًا للعلوِّ

بل مرآةً للرؤيا...

وهكذا تنحني الحروفُ

عندَ تخومِ المعنى

ليسَ لأنّها انتهتْ

بل لأنّها أدركتْ

أَنَّ مَا قِيلَ كَانَ

بداية الطريق لا نهايته...

فالكلامُ مهما ارتقى

يبقى ظلًّا لفكرةٍ أكبر

والفكرةُ مهما اشتعلتْ

تبقى وميضًا أمام

نورٍ من آمن

بأنَّ الحكمَ ليسَ مقعدًا

بل مسؤوليةٌ رؤيا...

يا صاحبَ الجلالة...

يا من جعلتَ

من التاج نافذةً لا جدارًا

ومن السلطة جسراً لا قيداً...

ها هي الكلمات تعودُ

إلى صمتها الأول

صمتٌ مملوءٌ باليقينِ

بأنَّ الأمم لا تُبنى

بالصوتِ العاليِ

بل بالبصيرة التي

ترى ما بعد الأفق...

لقد مشينا معاً

من نخيل بلاد الرافدينِ

إلى ظلِّ وطنٍ يكتبُ

نفسه من جديدٍ...

ورأينا كيف تتحولُ

الفكرةُ إلى مصيرٍ...؟

وكيفَ يصبحُ الحلمُ

دستورًا غيرَ مكتوبٍ...؟

تُوقعُهُ القلوبُ

قبلَ أن تكتبَهُ الأوطانُ...

وهنا عندَ حافةِ الدائرةِ

التي اكتملتْ

ندركُ أنَّ النهايةَ

ليست إغلاقًا

بل انفتاحٌ على

زمنٍ جديدٍ...

زمنٌ تصيرُ فيه

الرؤيا قانوناً

ويصيرُ فيه الحبُّ سياسةً

ويغدو فيه الإنسانُ

هو الغاية والاتجاه...

فسلامٌ على مَنْ

حملَ الفكرةَ

سيفاً من نورٍ

وسلامٌ على مَنْ جعلَ

مَنْ الحلمِ دولةً تسيرُ

على قدمين...

وسلامٌ على هذا الامتدادِ

الذي بدأ

من نخلة وحرفٍ

وانتهى إلى أفقٍ لا يُحدُّ...

وينتهي النصُّ

ولكنَّه لا ينتهي...

لأنَّ الرؤيا إذا وُلدتْ

في الوجدانِ

لا تعرفُ الغيابَ...

المُحتَوَيَاتُ

جسرُ الحكاياتِ	5
نبؤَةُ الزمنِ	17
محرابُ الحرفِ	28
ولادةُ التاجِ	36
نبضُ القصرِ	42
فجرُ الحلمِ	50
نهرُ الخيرِ	60
معراجُ السلطانِ	68
عهدُ الشموخِ	77
ملكُ القلوبِ	87

96	نبضُ ماليزيا
104	غيابُ الجبلِ
113	ذبولُ الغصنِ
122	صخبُ الريحِ
131	ميزانُ الحقِّ
138	سلطانُ الوفاءِ
148	معراجُ الحلمِ
155	مداراتُ الضوء
163	مجاتُ الرؤيا
171	اشراقَةُ التاجِ
179	ضياءُ العرشِ
187	إسراءُ النسْرِ

197	وثبةُ الأصالة
208	العلمُ والتأج
221	استباقُ الزمن
228	تأج الشرق
239	المحتويات

